

Disease and medicine in Arabic poetry until the end of the Umayyad period

Lecturer. Dr. Riad aball saad

Ministry of Education / General Directorate of Education in Al-Muthanna, Iraq

E-mail: riyad.abdallah@mu.edu.iq

Abstract:

This research includes a study of the dualities of Arabic poetry, which is the disease and the medicine. The research showed how the ancient Arab poet dealt with these dichotomies and whether they are real diseases, or did poets describe them as a disease metaphorically, for love is one of the main topics that most of the poets immersed in it, but some of them described it as a disease, The question here is how to turn love into a disease? And what is the medicine for this deadly love? And on the topic of gray hair, we find some poets dealing with it in a special way, as some of them described it as an accidental disease for which there is no cure. Time does not repeat twice, but rather it is one pension time. The poet himself is faced with a great dilemma represented by the power of time. As for the other topic and the other part of the research, it is represented by medicine Some poets described a special kind of medicine for the disease of love, including the connection of the beloved and drawing close to him, and another section of poets went to dive into mythological beliefs, including the use of the blood of kings from various diseases, including rabies, madness and dementia, while the other section of poets found a haven in the winery. Safe from various mental illnesses and ailments.

Keywords: disease, medicine, poetry, Arab, Umayyad

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

المدرس الدكتور رياض عبدالله سعد

مديرية تربية المثني

E-mail: riyad.abdallah@mu.edu.iq

الملخص:

يتضمن هذا البحث دراسة لثنائية من ثنائيات الشعر العربي وهي الداء والدواء، وقد بين البحث كيف تعامل الشاعر العربي القديم مع تلك الثنائيات، وهل هي أمراض حقيقية أم أن الشعراء وصفوها بالمرض مجازاً؟، فالحب من الموضوعات الرئيسة التي خاض غمارها معظم الشعراء غير أن بعضهم وصفه بالداء، والسؤال هنا كيف تحول الحب إلى داء؟ وما هو الدواء لهذا الحب القاتل؟ وفي موضوعة الشيب نجد بعض الشعراء تعاملوا معه تعاملأ خاصأ ، إذ وصفه بعضهم بالداء الذي لا دواء له، فالزمن لا يعاد مرتين وإنما هو زمن معيش واحد، ففي لحظة الشيب لا يمكن الرجوع بالزمن إلى الوراء مطلقأ، بل يجد الشاعر نفسه أمام معضلة كبيرة تتمثل بسطوة الزمن، أما الموضوعة الأخرى والشق الآخر من البحث فتمثل بالدواء ، إذ وصف بعض الشعراء نوعأ خاصأ من الأدوية لداء الحب ومنها وصال الحبيب والتقرب منه، وذهب قسم آخر من الشعراء إلى الغوص في المعتقدات الأسطورية ومنها الاستطباب بدماء الملوك من مختلف الأمراض ومنها داء الكلب والجنون والخبل، في حين وجد القسم الآخر من الشعراء في الخمرة ملاذأ أمنأ من مختلف الأمراض والعلل النفسية.

الكلمات المفتاحية: الداء، الدواء، الشعر، العربي، الأموي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى آله وأصحابه المنتجبين ،وبعد...

يزخر الشعر العربي القديم بالكثير من الثنائيات في بنية القصيدة، ومن هنا تم اختيار هذا الموضوع (الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي) عنواناً للبحث ، فكثيراً ما وصف الشعراء العرب بعض الأشياء التي يحسون بها بالأمراض، ومنها الحب فقد وصفه بعض الشعراء بالمرض الذي لا يمكن علاجه أو المرض الذي يحتاج إلى علاج، ويتمثل بوصل الحبيب، وتعامل بعض الشعراء مع موضوعه الشيب بوصفها عرضاً طارئاً، فما من مرحب بهذا الداء؛ لقد شعر معظم الشعراء بخيبة أمل حال ظهور الشيب على مفارقهم، وعد بعض الشعراء المثالب نوعاً خاصاً من الأمراض ومنها البخل والغدر والجبن واللؤم وعدوها عادات دخيلة على المجتمع العربي، تم تقسيم هذا البحث على مبحثين جاء المبحث الأول بعنوان الداء وقد تضمن ثلاثة أنواع منها داء الحب وداء الشيب والمثالب بوصفها داءً، أما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان الدواء وتضمن الاستطباب والشفاء من داء الحب والاستطباب والشفاء بدماء الملوك، وأخيراً الاستطباب بالخمير سيما ما يتعلق منها بالأمراض والعلل النفسية كما بينها الشعراء.

توطئة:

هناك كثير من الجزئيات في الشعر العربي القديم لم يتم الوقوف عليها بالبحث والدراسة ، وهذه الجزئيات أخذت مساحة واسعة من دواوين الشعراء العرب قديماً ، وهي لم تأت من فراغ بل هي نتاج لإحساس الشاعر وتجاربه التي خاضها في حياته اليومية ، فهناك كثير من التجارب الحقيقية للشعراء حول المعاناة العشقية ومن تلك المعاناة شكوى الشعراء من الحب وعذابات، حتى أن بعضهم وصفه بالداء الذي لا دواء له ، فالحب بوصفه همماً ثقیلاً لطالما أرقّ الشعراء وسلبهم نومهم وقلب موازين الوقت لديهم، فتارة يشعرون بطول الليل في غياب الحبيب وعلى العكس تماماً يشعرون بقصره إذا نالوا شيئاً من وصل الحبيب ، والبعض الآخر راح يشتكي من الشيب هذا الزائر الثقيل ويصفه بالمرض الذي لا دواء له ، في حين وصف بعضهم كثير من العيوب والمثالب بالمرض والداء ، يقابل ذلك الدواء فقد وصف كثير من الشعراء معاناتهم العشقية وفكروا بعلاج شاف لهذا الهم الدائم ، وكذلك فكر بعضهم بالخمير كونها دواء لمختلف العلل النفسية، ويذهب بعض الشعراء إلى جعل دماء الملوك وسيلة للشفاء ؛لذا تم تقسيم هذا البحث إلى مبحثين الأول الداء وتضمن داء الحب والمثالب بوصفها داءً وداء الشيب أما المبحث الثاني الدواء وقسم إلى ثلاثة أقسام الأول الدواء والشفاء من داء الحب والثاني الشفاء من المرض والداء المتعلق بالأساطير والخرافات والثالث الدواء والشفاء بالخمير .

المبحث الأول

داء الحب:

يعد الحب من الموضوعات التي شغلت حيزاً كبيراً من دواوين الشعراء على مر العصور، من العصر الجاهلي وحتى الزمن الراهن، ويرى أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ((أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب ، ثم يستحكم الهوى فيصير مودة... ثم الخلّة، ثم الصبابة... ثم يصير عشقا وهو أعلى ضرباً... ثم يترقى فيصير ولها... ثم بعده التتيم، ومن التتيم يكون الداء الدوي والجنون الشاغل))^(١) فقد عانى الشعراء وما زالوا يعانون من هذا الحب الذي أقض مضاجعهم وجعلهم يحسون بالإحباط تارة وبالفرح والأمل تارة أخرى، وكل هذا يتعلق بوصل الحبيب وهجره ويبعده وقربه فهذا الشاعر عنترة بن شداد العبسي المتوفى (٢٢ ق.هـ) يعاني من صباة العشق وويلاته فيقول : (من الوافر)

وَعَادَانِي غُرَابُ الْبَيْنِ حَتَّى	كَأَنِّي قَدْ قَتَلْتُ لَهُ قَتِيلًا
وَقَدْ غَنَى عَلَى الْأَغْصَانِ طَيْرٌ	بَصَوْتِ حَنِينِهِ يَشْفِي الْغَلِيلَا
بَكَى فَأَعْرَثُهُ أَجْفَانٌ عَيْنِي	وَنَاحَ فَرَادَ إِعْوَالِي عَوِيلَا
فَقُلْتُ لَهُ جَرَحَتْ صَمِيمَ قَلْبِي	وَأَبْدَى نَوْحُكَ الدَّاءَ الدَّخِيلَا
وَمَا أَبْقَيْتَ فِي جَفْنِي دُمُوعاً	وَلَا جِسْماً أَعِيشُ بِهِ نَحِيلَا
وَلَا أَبْقَى لِي الْهَجْرَانُ صَبْرًا	لَكِي أَلْقَى الْمَنَازِلَ وَالطُّلُولَا
أَلْفْتُ السَّقَمَ حَتَّى صَارَ جِسْمِي	إِذَا فَقَدْ الضَّنَى أَمْسَى عَلِيلَا ^(٢)

إذ أفصح الشاعر في الأبيات السابقة عما يعانيه عند سماعه لصوت الطائر وهو يغني، فقد هيج لدى الشاعر ما كمن في النفس حتى أبدى هذا النوح الداء الدخيل وهو العشق (حب عيلة) حتى أنه قد ألف السقم (المرض) ويرسم لنا الشاعر صورة لمفارقة مأساوية تتمثل في أن جسمه قد ألف السقم واعتاد عليه فما من شيء جميل بات لدى الشاعر في ضوء هذا الحرمان الذي يعيشه حتى وإن فقد جسمه الضنى الذي هو السقم الذي طال أمده وثبت فيه وإن فارقه يبات عليلاً لا يبرأ من المرض فـ((ما أكثر ما بكى الشعراء أحبابهم فبللوا رسائل الحب الصغيرة التي كتبوها لهم كأنما كان النحيب -ولا يزال - ضربة باهظة على كل عاشق))^(٣)، فبكاء الطائر على تلك الشجرة إنما هو بكاء الشاعر وكأنما أراد أن يسقط تلك المشاعر التي يحس بها ويعانيها على ذلك الطائر الذي هيج ما كمن من مشاعر الشوق والحزن نحو حبيبته.

وبالانتقال إلى الشاعر المخضرم الأعشى الكبير المتوفى (٧هـ) نجده يشكو من همه وسهره الدائم الطويل في قوله : (من البسيط)

نَامَ الْخَلِيُّ وَبَثَّ اللَّيْلُ مُرْتَفِقًا أَرعى النُّجُومَ عَمِيداً مُثَبَّتاً أَرْقَا
أَسْهَوَ لِهَمِّي وَدَائِي فَهِيَ تُسَهِّرُنِي بَانَتْ بِقَلْبِي وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلَقَا
يَا لَيْتَهَا وَجَدْتُ بِي مَا وَجَدْتُ بِهَا وَكَانَ حُوبٌ وَوَجْدٌ دَامَ فَاتَّفَقَا
لَا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَيْهَا هَلْ يَشْتَقِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقَا
صَادَتْ فُؤَادِي بِعَيْنِي مُغْزَلٍ خَذَلْتُ تَرعى أَعْنَ غَضِيضاً طَرْفُهُ خَرَقَا^(٤)

فالشاعر يشعر بحالة من الاغتراب والوحدة أثارت في نفسه حالة من الوجد والشوق للحبيب، فالليل باعثاً لإثارة تلك الأوجاع التي يعلو أنينها ليلاً فيزداد شوقه للحبيب الغائب ، إذ وقع الشاعر تحت وطأة الاستسلام الهادئ لانفعالاته وإحساسه المر بفراق الحبيب ؛لذا شكى من الهم والداء الذي أصابه (لهمي ودائي) ف((لا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل، إما ببين وإما بهجر وإما بكتمان واقع لمعنى، من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والنحول، وربما أضجعه ذلك. وهذا الأمر كثير جداً موجود أبداً، والأعراض الواقعة من المحبة غير العلل الواقعة من هجمات العلل، ويميزها الطبيب الحاذق))^(٥)، ونلمح تلك الآهات والحسرات الشعورية في تمنى الشاعر أن تحبه (حبيبته) بقدر الحب الذي يكنه لها لكي تشعر بما يشعر به هو، فروية الحبيبة والتقرب منها هو ما يبعث الأمل في نفسه لتخفيف حالة الشوق التي يشعر بها، ((ففي الوقت الذي خلد فيه رفاقه إلى نوم هادئ بسبب خلو بالهم من الهموم والمكدرات قضى هو ليلته صاحياً من فرط الوجد ،إذ امسى أسيراً لحب من هجرته وصيره حبه الفياض لها أسيراً مكبلاً بأغلال الماضي واللحظة الراهنة))^(٦)، فقد هيج الليل - بظلامه ووحشته - مواجع الشاعر ؛ لذا أطلق تلك الآهات والحسرات شعراً عليها تساهم في تخفيف حدة الضغط النفسي الذي يتعرض له.

ويتحسر الشاعر المخضرم معن المزني المتوفى (٦٤ هـ) على مناظر تلك الديار التي لعبت بها الرياح وغيّرت معالمها في قوله: (من الطويل)

عَفَا وَخَلَا مِمَّنْ عَهْدَتْ بِهِ خُمٌ وَشَاقَكَ بِالمَسْحَاءِ مِنْ سَرَفِ رِسْمٍ
عَفَا وَخَلَا مِنْ بَعْدِ مَا خَفَّ أَهْلُهُ وَحَنَّتْ بِهِ الْأَرْوَاحُ وَالْهَظْلُ السُّحْمُ
وَفِي الْحَيِّ نَعْمَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَالْهَوَى وَأَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ نَعْمٍ
وَكَانَتْ لِهَذَا الْقَلْبِ نَعْمَ زَمَانَةٌ خَبَالاً وَسُقْمًا لَا يُعَادِلُهُ سُقْمُ
مُنْعَمَةٌ لَمْ تَعُدْ فِي رِسْلِ ثَلَّةٍ وَلَمْ تَتَجَاوَبْ حَوْلَ كَلَّتْهَا الْبُهِمُ
سَبَبْتَنِي بَعِيْنِي جُوْذِرٍ بِخَمِيلَةٍ وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئِمِ زَيْنَةُ النُّظْمِ^(٧)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

يتذكر الشاعر تلك اللحظات الجميلة التي تجمعها مع حبيبته ، فهي قرة عين وسقم في آن واحد ، فالتحسر على الذكريات ووقوف الشاعر على أثار الديار البالية هي رموز ((لتجربة الألم التي يجد فيها الشاعر راحة ولذة نفسيتين يطمئن إليهما في التعبير عن بعض مشاعره الحبيسة))^(٨). فالشاعر يعقد مقارنة بين زمنين الزمن الأول زمن العيش الرغيد مع أحبته في هذا الوادي (عَهْدْتُ بِهِ خُمٌ) وهو وادٍ بين مكة والمدينة والزمن الثاني زمن خلو الدار من أهلها وقد لعبت بها الرياح والأمطار وغيرت معالمها واندرست آثارها المفعمة بالحياة، وهنا يفرض الزمن سطوته على ذات الشاعر ، فالزمن مرتبط بالمكان والإحساس به يتغير من يوم إلى آخر ، فإحساس الشاعر بالحياة تغير تماماً، إذ ولد تغير المكان إحساساً نفسياً للشاعر ومن هنا فـ ((الشاعر والطلل كلاهما خاضع لسطوة الزمن ، ونادراً ما يكون الزمن في صالح الشاعر ، إذ يفاجئه بالنوائب والمحن ، لكن في مقابل جبروت الزمن يستطيع الشاعر التحكم في الطلل، أما في مشهد وصفي آني ، أو في مشهد تركيبى مستوحى من الذاكرة ، ومن ثم يبقى الزمن قاهراً للإنسان في كل آن))^(٩)، فلا شك في أن حالة الشوق قد بلغت ذروتها لدى الشاعر فولد هذا الإحساس المضطرب ، فتأثير الحب على ذات الشاعر هو من ولد السقم والمرض لديه ، ويبدو أن حالة السقم هي نفسية بحتة بدليل اقترانها بالخبال (خَبَالاً وَسُقْمًا) وهو ذهاب العقل ، وتلك علامات على شدة تأثر الشاعر بالظروف النفسية المحبطة التي باتت تؤرقه وتمنعه من اللقاء بحبيبته.

ويسقط الشاعر عروة بن حزام المتوفى (٣٠ هـ) حنينه ومشاعره التي يكنها لحبيبته على تلك الناقة في قوله: (من الطويل)

لَعَمْرِي إِنِّي يَوْمَ بُصْرَى وَنَاقَتِي	لَمُخْتَلِفَا الْأَهْوَاءِ مُصْطَحِيَانِ
فَلَوْ تَرَكْتَنِي نَاقَتِي مِنْ حَنِينِهَا	وَمَا بِي مِنْ وَجْدٍ إِذَا لَكَ فَنِي
مَتَى تَجْمَعِي شَوْقِي وَشَوْقَكَ تُفْدِحِي	وَمَا لَكَ بِالْعَبَاءِ الثَّقِيلِ يَدَانِ
فِيَا كَبِدَيْنَا مِنْ مَخَافَةِ لَوْعَةِ أَلْ	فِرَاقٍ وَمِنْ صَرَفِ النَّوَى تَجْفَانِ
وَإِذْ نَحْنُ مِنْ أَنْ تَشْحَطَ الدَّارُ غُرْبَةً	وَإِنْ شَقَّ لِلْبَيْنِ الْعَصَا وَجَلَانِ
يَقُولُ لِي الْأَصْحَابُ إِذْ يَغْذُلُونَنِي	أَشَوْقُ عِرَاقِي وَأَنْتَ يَمَانِ
وَلَيْسَ يَمَانٍ لِلْعِرَاقِيِّ بِصَاحِبٍ	عَسَى فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ يَلْتَقِيَانِ
تَحَمَّلْتُ مِنْ عِفْرَاءٍ مَا لَيْسَ لِي بِهِ	وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كَأَنَّ قَطَاءَ عُلْقَتْ بِجَنَاحِهَا	عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفْقَانِ
جَعَلَتْ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ	وَعِرَافٍ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَقَالَا نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ	وَقَامَا مَعَ الْغَوَادِ يَبْتَدِرَانِ

نعم وبلى قالاً متى كنت هكذا
فما تركا من رقية يعلّمانها
فما شفى الداء الذي بي كُله
فقالا شفاك الله والله ما لنا
فرحت من العراف تسقط عمتي
ليستخبراني قلت منذ زمان
ولا شربة إلا وقد سقاني
وما ذخراً نصحاً ولا ألواني
بما ضمنت منك الضلوع يدان
عن الرأس ما ألتأها ببّان^(١٠)

يصور لنا الشاعر الشوق والحنين الذي تشعر به ناقلته وهي تحن إلى أرضها في اليمن، وهما مختلفان من حيث الهوى فهواه أمامه وهوى ناقلته خلفها هي تحن لموطنها وهو يحن لأرض حبيبته، لقد ولدت الغربة المكانية حالة من الضغط النفسي على ذات الشاعر حيث تتنازع وتتصارع قوى متعددة في ذاته، منها الشوق إلى الماضي المفقود والخوف من المستقبل غير الواضح في عرض الصحراء ؛ لذا يسقط الشاعر ما يحس به من الهوى على هذه الناقاة ، فهي قادرة على إبداء الحنين أكثر من غيرها وهذا ما أكسب الشاعر ارتباطاً وثيقاً بها، فهي تشكل في كثير من الأحيان المعادل الموضوعي لذات الشاعر، ثم ينتقل ليصور لنا معاناته العشقية (تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفَاءٍ مَا لَيْسَ لِي بِهِ) ، فخفقان القلب علامة دالة على شدة وجده وهيامه بحبيبته عفاء، فبعد أن اشتد به المرض (مرض الحب) راح يبحث عما يخلصه من هذا الداء العصي فاتجه صوب العرافين عليهم يشفونه مما به، فلم تفلح رقيات العرافين ولا شراياتهم في علاج نار الهوى المشتعلة في قلبه، فوصل الحبيب هو الشفاء وليس شيئاً آخر، حتى أن العرافين قد يؤسوا من علاج حالته فخرج منهم وهو في حالة إحباط شديد، هكذا يصور لنا الشاعر شدة هيامه بحبيبته عفاء، وهكذا تتدهور حالة الشاعر يوماً بعد آخر سيما بعد أن خدعه عمه بتزويجه منها وإذاعة خبر موتها وبعد أن علم الشاعر بأن حبيبته ما زالت على قيد الحياة، يتجه إليها وهو يمني النفس في لقاءها وبعد اللقاء بها يرجع خال اليدين وقد حظي بتكريم زوجها وعند عودته من الشام موضع سكن حبيبته بعد زواجها ((أعطته عفاء خماراً لها، فلما سار عنها نكس بعد صلاحه وأصابه غشي وخفقان، وكان كلما أغمي عليه ألقى عليه غلامه ذلك الخمار فيفيق، فلقية في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة، فجلس عنده وسأله عما به، وهل هو خبل أم جنون؟ فقال له عروة: ألك علم بالأوجاع؟ قال: نعم، فأنشأ عروة يقول))^(١١): (من الطويل)

وإني لتغرّوني لذكرك رعدة
وما هو إلا أن أراها فُجاءة
وقد علمت نفسي مكان شفافها
وقلت لعراف اليمامة دواني
فما بي من سقم ولا طيف جنة
لها بين جسمي والعظام دبيب
فأبْهَتْ حتى ما أكاد أُجيب
قريباً وهل ما لا يُنال قريب
فإنك إن داويتني لطبيب
ولكن عَمِّي الحميري كذوب

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءَ دَانٍ ضَرَارُهَا فَتَرْجَى وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبُ
فَلَسْتُ بِرَأْيِ الشَّمْسِ إِلَّا ذَكَرْتُهَا وَآلَ إِلَيَّ مِنْ هَوَاكَ نَصِيبُ^(١٢)

ومات شاعرنا في سفرته تلك قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال، وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعاً شديداً، فهو يتوسل لعراف اليمامة أن يخلصه من همه الدائم عشقه لعفراء، والحب الأصيل عند البدو في رأي (سانتدال) ((إنما يبحث عن الحب الحق ووطنه الأصيل تحت خيام البدوي الدكناء فجمال الإقليم والشعور بالعزلة قد ولدا هناك - كما يولد في أي مكان آخر - أسمى عواطف القلب الإنساني))^(١٣). هكذا يظل الشاعر مرتبطاً بحبيبته فيموت وهو يكن لها أسمى معاني الحب والوفاء.

وبالانتقال إلى الشاعر قيس ذريح المتوفى (٦٨ هـ) نجده يعاني هو الآخر من عذابات الحب وآهاته فيقول: (من الطويل)

وَحَدَّثَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ عَلَى الْبَيْنِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ
فَمُتْ كَمَدّاً أَوْ عِشْ سَقِيماً فَإِنَّمَا تُكَافُئُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطْطِيقُ
أَطَعْتُ وَشَاءَ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمْ خَلِيلٌ وَلَا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
فَإِنْ تَكُ لَمَّا تَسَلُ عَنْهَا فَإِنِّي بِهَا مُغْرَمٌ صَبُّ الْفُؤَادِ مَشُوقُ
يَهِيْجُ بِلُبْنَى الدَّاءُ مِنِّي وَلَمْ تَزَلْ حُشَاشَةً نَفْسِي لِلْخُرُوجِ تَتَوَقُّ^(١٤)

يظهر السقم والداء على قلب وجسم الشاعر فالداء نتيجة حتمية للحب، وهو لا يتمثل بمرض معين بل إن الداء هنا يتمثل بعوارض الحب المختلفة ومنها دقات القلب المتسارعة لدى رؤية الحبيب، والشوق والهيام لدى غيابه وفراقه وغيرها من علامات الحب التي تشكل لدى المحبين داءً لا يمكن علاجه، فحالة السقم لا تفارق الجسم، وفي حالة من المنولوج الداخلي يصدر الشاعر حواراً مع قلبه وكأنه إنسان يعي ما يقال له، فيخيره بين أمرين الموت أو العيش في حالة السقم وكأن القلب جزء آخر خارج جسمه فيحمل القلب كل الهموم والمصائب التي جناها من حب (لبنى) حتى خاطبه بقوله (تُكَافُئُنِي مَا لَا أَرَاكَ تُطْطِيقُ)، ومرة أخرى يصف لنا الشاعر ما يعانيه من داء الحب حتى كادت النفس أن تخرج من الجسم بسبب شدة الحب ، إذ ((ترتبط المرأة بالمكان والوطن ارتباطاً وثيقاً حتى يصعب التفريق بينهما ،هما وجهان لعملة واحدة تمثل مواضع ضعف الشاعر وتأجج عواطفه))^(١٥)، هكذا يصف لنا الشاعر كل ما يدور في حياته اليومية، فهذه التفاصيل الدقيقة لحالته العشقية تثبت بالدليل القاطع أنه صادق في كل ما يقول، وما تلك الآثار النفسية والجسمية التي يعانيها إلا ترجمة صادقة لمشاعر الحب التي ابتلي بها الشاعر كما يقول هو. ومرة أخرى يعلن الشاعر قيس بن ذريح عن معاناته من مرض الحب في قوله : (من الخفيف)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

عِيدَ قَيْسٍ مِنْ حُبِّ لُبْنَى وَلُبْنَى دَاءٌ قَيْسٍ وَالْحُبُّ دَاءٌ شَدِيدُ
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَائِدُ يَوْمًا قَالَتِ الْعَيْنُ لَا أَرَى مَنْ أُرِيدُ
لَيْتَ لُبْنَى تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضِي أَنَّهَا لَا تَعُودُ فَيَمُنَّ يَعُودُ
وَيَحْ قَيْسٍ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا دَاءٌ خَبِلَ فَأَلْقَبُ مِنْهُ عَمِيدُ^(١٦)

يبدو أن الشاعر في حالة إعياء شديد من مرض الحب حتى بات طريق فراشه بسبب هذا المرض (داء الحب) فالمفارقة تكمن في أن تتحول المحبوبة لبني إلى داء ودواء في آن واحد فهو يشتهي من شدة وقع الداء المتمثل بالحب وتطفو على سطح النص مجموعة من الألفاظ تزيدنا يقيناً بأن الشاعر بات طريق الفراش ومنها تكرار الألفاظ (عِيدَ، عَادَنِي، الْعَوَائِدُ، تَعُودَنِي، يَعُودُ)، لا بل إن مما زاد الطين بلة، أن الشاعر أصيب بداء الخبل. إن الألفاظ السابقة تفصح عن شاعر عاش معاناة الحب واكتوى بناره ((لقد استطاع قيس بن ذريح وغيره من العذريين تحويل الانفعالات الحبيسة إلى أعمال فنية رائعة وكان الشاعر العذري واعياً بالصراع القائم ذاته وبين البيئة المحيطة به والمحبطة له، هذا الوعي حول الصراع إلى ابتكارية لفن جميل))^(١٧)، فالشاعر يمني النفس بقاء الحبيبة حتى شق عليه ذلك وباتت آثار المرض واضحة على جسمه وعقله (داء خبل).

وبالانتقال إلى الشاعر مجنون ليلي قيس بن الملوح المتوفى (٦٨ هـ) نجده يصف لنا ما حل به من السقم في قوله: (من الطويل)

أَلَا لَا أَحِبُّ السَّيْرَ إِلَّا مُصْعَدًا وَلَا الْبَرْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونُ يَمَانِيَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْيَأْسِ طَاوِيَا
إِذَا مَا تَمَنَّى النَّاسُ رَوْحًا وَرَاحَةً تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَاكَ يَا لَيْلَى خَالِيَا
أَرَى سَقَمًا فِي الْجِسْمِ أَصْبَحَ ثَاوِيًا وَحَزَنًا طَوِيلًا رَائِحًا ثُمَّ غَادِيَا
وَنَادَى مُنَادِي الْحُبِّ أَيْنَ أَسِيرُنَا لَعَلَّكَ مَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
حَمَلْتُ فَوَادِي إِنْ تَعَلَّقَ حُبُّهَا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ زُفْرَةِ السَّمَوَاتِ فَادِيَا^(١٨)

تختلف أمنية الشاعر هنا عن أمنيات الآخرين، فهو متميم يتصيد لحظات اللقاء بحبيبته؛ لذا يشكو حالة السقم والمرض التي يعيش بها، فمرض الجسم واعتلاله أصبح ملازماً له وبدوره ولد هذا السقم حزناً طويلاً يأتي بين الحين والآخر، فالشاعر لا طاقة له بتحمل الابتعاد عن ليلي حتى أنه وقع أسيراً بيد الحب، فهو يأنس الحب ويفترض أن له منادياً ينادي عليه فهو الأسير الذي أتى من طوعه لا مرغماً (ونادى مُنَادِي الْحُبِّ أَيْنَ أَسِيرُنَا)، لقد ((اتخذ شعراء البادية التعبير عن الوجدان الذاتي من خلال ما عرف باسم الغزل

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

العذري أو العفيف وشاع في البادية هذه القصص الكثير عن الشعراء العشاق الذين يعيشون في حياتهم عشقاً محروماً لا سبيل إلى التواصل فيه ثم يموتون في النهاية شهداء هذا العشق العف المحروم وفي شعرهم نجد أن الهدف الأساسي هو التعبير عن هذه العاطفة وعن الحرمان الملازم لها لا التعبير عن المرأة التي هي هدف العاطفة ومجالها فشعرهم يهتم بالروح أكثر مما يهتم بالصورة الجسدية لذلك لا تظهر المرأة فيه كثيراً فمدار التعبير فيه على تباريح العشق وآلامه ((^(١٩)). فحالة السقم المربطة لجسم الشاعر فعلت فعلها ، وتركت أبلغ الأثر في نفسه المرهفة التي تتوق لمشاهدة الحبيب والرغبة بوصله.

ويشير الابتعاد والرحيل مشاعر الشاعر الأخطل المتوفى (٩٠ هـ) فتجود قريحته الشعرية بالألفاظ تدل على حزنه وألمه لذلك الفراق في قوله: (من البسيط)

بَانَتْ سَعَادُ فِي الْعَيْنَيْنِ مَلُومُ	مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُولُ
فَالْقَلْبُ مِنْ حُبِّهَا يَعْتَادُهُ سَقَمُ	إِذَا تَذَكَّرْتُهَا وَالْجِسْمُ مَسْلُولُ
وَإِنْ تَنَاسَيْتُهَا أَوْ قُلْتُ قَدْ شَحَطْتُ	عَادَتْ نَوَاشِطُ مِنْهَا فَهُوَ مَكْبُولُ
مَرْفُوعَةٌ عَنْ عُيُونِ النَّاسِ فِي غُرْفٍ	لَا يَطْمَعُ الشُّمْتُ فِيهَا وَالتَّنَابِيلُ ^(٢٠)

يقدم الشاعر مجموعة من العلامات الدالة على مرضه واعتلال جسمه بسبب الابتعاد عن محبوبته، فمرض القلب من أخطر الأمراض وهو ما يحس به العاشق المتيقن من علامات العشق الكثيرة، فهو في حيرة من أمره، ففي كلتا الحالتين يشعر بالإحباط إذا تذكرها فالقلب يعتاده السقم وإن تناساها تم استرجاعها من قبل ذاكرته التي تأبى نسيانها فهو معذب في كلتا الحالتين فـ((رحيل المحب أو رحيل المحبوب لمن المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جمود ويظهر مكنون الجوى... ولو أن ظريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً إذا تفكر فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الأوجال وتبدل السرور بالحزن وإنها لساعة ترق القلوب القاسية وتلين الأفئدة الغلاظ وإن حركة الرأس وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة حجاب القلب وموصلة إليه الجزع بمقدار ما تفعل حركة الوجه في ضد هذا ((^(٢١)، فمرض العين ووجعها وسقم القلب وانسلاال الجسم ، فضلاً عن تذكرها في كل وقت وحين هي علامات على شدة تأثر الشاعر بذلك الحب المضني.

وبالانتقال إلى الشاعر الراعي النميري المتوفى (٩٠ هـ) نجده يستقصي في وصف مناظر الرحيل في قوله: (من الطويل)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

ظَنَنْتُ وَودَعْتُ الْخَلِيطَ الْيَمَانِيَا	سَهْلًا وَأَذْنَاهُ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَكُنَّا بِعُكَاشٍ كَجَارِي جَنَابَةٍ	كَفِيَّيْنِ زَادَا بَعْدَ قُرْبٍ تَلَاقِيَا
وَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ وَأَنْتَ دَوَاءُهُ	فَهَبْنِي لِدَائِي إِذْ مَنَعْتَ شِفَائِيَا
شِفَائِي أَنْ تَخْتَصَّنِي بِكَرَاهَةٍ	وَتَدْرَأَ عَنِّي الْكَاشِحِينَ الْأَعَادِيَا
فَالَا تَتَلْنِي مِنْ يَزِيدَ كَرَامَةٍ	أَوَّلَ وَأَصْبَحَ مِنْ قُرَى الشَّامِ خَالِيَا
وَأَرْضِي بِأُخْرَى قَدْ تَبَدَّلْتُ إِنَّنِي	إِذَا سَاعَنِي وَادٍ تَبَدَّلْتُ وَادِيَا ^(٢٢)

تتراكم الألفاظ الدالة على الداء والدواء في الأبيات السابقة، وكأن الشاعر يعاني من مرض حقيقي بحاجة إلى شفاء، إن الوقوف على الألفاظ السابقة يفصح عن حالة الأسى التي يعيشها الشاعر بفعل الرحيل (ظننت)، هذا الرحيل الجماعي الذي لطالما كان هم الشعراء الذي لا ينتهي، فرحلة الظعن من المناسبات المهمة لدى الشاعر، إذ تتزاحم فيها المشاعر ويعلو صوت الشاعر بالحزن واللهفة لتلك الأظعان الراحلة متحدثين عن الفارقة والبعد، ((الرحلة في الشعر العربي رحلتان : رحلة قوم المحبوبة عن منازلهم ورحلة الشاعر على ناقته والرحلة الأولى هي التي تتعلق بالماء وهي التي تمتلئ بالطقوس، إذ يمر الشاعر بالديار خالية مجدبة، ولكنه يرينا شيئاً آخر إلى جوار بقاياها. إن أنماطاً شتى من بقايا عمليات السحر التشاكلي تظهر من خلال مواقف الشاعر أمام الطلل في صور متعددة أولاً ما نرى الشاعر بصورة من بكائه في الأطلال))^(٢٣)، فالألفاظ (داء، دواءه، لدائي، شِفائِيَا، شِفَائِي) توحى بحجم الأذى النفسي والجسمي الذي يتعرض له الشاعر.

وتصيب عيون الشاعر الأحوص الأنصاري المتوفى (١٠٥ هـ) إلى جبل (أضم) في قوله: (من البسيط)

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ إِضْمٍ	أَوْقِدْ فَقَدْ هَجَتْ شَوْقاً غَيْرَ مُنْصَرِمٍ
يَا مُوقِدَ النَّارِ أَوْقِدْهَا فَإِنَّ لَهَا	سَنًا يَهِيْجُ فُؤَادَ الْعَاشِقِ السَّدِمِ
نَارَ أَضَاءِ سَنَاهَا إِذْ تُشَبُّ لَنَا	سَعْدِيَّةٌ دَلُّهَا يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ
وَلَا نَمِ لَامَنِي فِيهَا فَقُلْتُ لَهُ	قَدْ شَفَّ جِسْمِي الَّذِي أَلْقَى بِهَا وَدَمِي
فَمَا طَرِبْتُ لِشَجْوٍ كُنْتُ تَأْمَلُهُ	وَلَا تَأْمَلْتُ تِلْكَ الدَّارَ مِنْ أُمَمٍ
لَيْسَتْ لِيَالِيكَ مِنْ خَاخٍ بِعَائِدَةٍ	كَمَا عَهْدَتْ وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ ^(٢٤)

بعد أن تغرب الشاعر عن دياره يطلق صرخة استغاثة إلى موقد النار في جبل أضم فلون لهيب النار يهيج ما به من العشق، فهو يعيش في حالة من الشوق، حتى أن فؤاده بات سقيماً من شدة الشوق ويبدو أن

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

الشاعر يمّني النفس ليس إلا، فليست ليلاليه عائدة بتلك المواضع (خاخ - وذي سلم) ((فالمكان هو الصفحة الوحيدة التي تطل على الماضي ، وتؤرخ له بإخلاص سواء كان ذلك على مستوى الاستقطاب الموضوعي أو على مستوى الاسترفاد الذاتي الوجداني والنفسي فالنبش في هذه الصفحة هو بمثابة إعادة ماء الحبر للأحداث المحتفظ بها طول الزمن فالمكان إذن لم يعد بهذه الصفة الوظيفية وعاء يحوي جملة من الأحداث سطرها الماضي ،أو سارية الحدث في الحاضر، إنما صار وعياً فكرياً ونفسياً واجتماعياً ووجدانياً يتفاعل مع الذات والجماعة ويبرز بأشكال ومستويات متعددة حسب الرؤية المستقطبة لتمثله))^(٢٥)، فهو بحاجة للوصول إلى ذلك المكان ولكن بعد المسافة الفاصلة بينه وبين حبيبته، هو من جعله يطلق هذا النداء إلى موقد النار في أعلى الجبل ليمتع ناظره بذلك المكان.

وبالانتقال إلى الشاعر كثير عزة المتوفى (١٠٥هـ) نجده يشتكي من حالة السقم والمرض التي ألمت به من حب لبنى في قوله: (من الطويل)

أَفِي الدِّينِ هَذَا إِنَّ قَلْبَكَ سَالِمٌ	صَحِيحٌ وَقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ سَقِيمٌ
وَأَنَّ بَجَوْفِي مِنْكَ دَاءٌ مُخَامِرٌ	وَجَوْفُكَ مِمَّا بِي عَلَيْكَ سَلِيمٌ
لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي مَوَدَّتِي	وَلَكِنِّي يَا عَزُّ عَنْكَ حَلِيمٌ
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ حُبُّهَا	عَلَى النَّأْيِ أَوْ طَوْلَ الزَّمَانِ يَرِيمُ ^(٢٦)

يشتكي الشاعر من حالة السقم التي باتت تؤرقه في مضجعه؛ لذا يطرح السؤال الاستنكاري (أَفِي الدِّينِ هَذَا إِنَّ قَلْبَكَ سَالِمٌ) فهو يستنكر على عزة أن يكون قلبها خالياً من السقم في مقابل مرضه وسقمه هو وهنا يتحول الحب إلى نقمة على الشاعر بعد أن اعتل الشاعر وأصابه الداء المخامر في أعماق قلبه فهذا التقابل الدلالي بين (قَلْبَكَ سَالِمٌ صَحِيحٌ وَ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ سَقِيمٌ) وكذلك (وَأَنَّ بَجَوْفِي مِنْكَ دَاءٌ مُخَامِرٌ وَ جَوْفُكَ مِمَّا بِي عَلَيْكَ سَلِيمٌ) ولد حالة من الإحباط لدى الشاعر وكأنها لا تكتثر لأمره، فـ((من عجب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبيه... ربما كان المحبوب كارهاً لإظهار الشكوى متبرماً بسماع الوجد؛ فترى المحب حينئذ يكتن حزنه ويكظم أسفه وينطوي على علته))^(٢٧)، هكذا يقسم الشاعر بالأبل المنحورة في موسم الحج أن لا يتخلى عن لبنى أو يفارقها.

وبالانتقال إلى الشاعر الحارث المخزومي (ت ١١٠ هـ) نجده يعلل النفس بالبكاء لمواجهة الهموم والأسقام التي حلت به في قوله : (من الطويل)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

سَأْبِكِي وَمَالِي غَيْرَ عَيْنِي مُعَوَّلٌ عَلَيْكَ وَمَالِي غَيْرُ حُبِّكَ مِنْ جُرْمٍ
لَعَلَّ إِنْسِكَابَ الدَّمْعِ أَنْ يَذْهَبَ الْأَسَى وَيَشْفِي مِمَّا بِالْفُؤَادِ مِنَ السُّقَمِ^(٢٨)

يستجير شاعرنا بالبكاء لعله يخفف وطأة الألم ومرارة الفراق فدواء الحب لا يمكن التنبؤ به فتارة يكون بوصل الحبيب وبالبكاء تارة أخرى ، وهنا يعلن الشاعر أن فؤاده سقيم ولا يمتلك ما يذهب هذا السقم غير تلك الدموع التي يذرفها على مضض، ((والبكاء من علامات المحب ولكن يتفاضلون فيه، فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تجبيه عينه وتحضره عبرته إذا شاء، ومنهم جمود العين عديم الدمع))^(٢٩)، فعندما تأخذ حدة التأزم مداها في نفس الإنسان العاشق، يشعر بالفقد والوحشة، فيلوذ بالبكاء، والأئين ليعبر عن سعيير أشواقه، وشدة وقع الفراق في نفسه وشعوره بالاغتراب حين يقابل حاضره المحزون المغترب وماضيه المقرون بالاستقرار في تلك الديار التي تجمعها بها ذكريات لا يمكن نسيانها وهي تهج عليه المواجه حال تذكرها^(٣٠). ويتضجر الشاعر النابغة الشيباني المتوفى (١٢٥ هـ) من السهر الدائم وقلة النوم في قوله : (من الطويل)

أَرَقْتُ وَشَرُّ الدَّاءِ هَمْ مُؤَرَّقُ كَأَنِّي أَسِيرٌ جَانِبَ النَّوْمِ مُوْتَقُ
تَذَكَّرُ سَلْمَى أَوْ صَرِيحٌ لِصَحْبِهِ يَقُولُ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخَمْرُ أَنْفَقُوا
يَشُبُّ حُمَيَّا الْكَاسِ فِيهِ إِذَا انْتَشَى قَدِيمُ الْخِتَامِ بَابِلِيٍّ مُعْتَقُ
يَقُولُ الشُّرُوبُ أَيُّ دَاءٍ أَصَابَهُ أَتَخِيلُ جَنَّ أَمْ دَهَاهُ الْمُرُوقُ
يَمُوتُ وَيَحْيَا تَارَةً مِنْ دَبِيبِهَا وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُفْصَحَ الْقِيلَ مَنْطِقُ
وَأَعْجَبَ سَلْمَى أَنَّ سَلْمَى كَأَنَّهَا مِنْ الْحُسْنِ حَوَارَاءِ الْمَدَامِعِ مُرْشِقُ^(٣١)

إذ يرسم لنا الشاعر صورة لسهره المتواصل في الليل، المتمثل بالأرق، فهو مصاب بفعل التذكر (تذكر سلمى) غير أن سلمى لم تكثر لسقمه ودائه، بل هي على أفضل ما يرام وهو المبتلى برغبته، فالشاعر مضطرب النفس لفراق أحبته؛ لذا فهو شريد الذهن لا يعرف الاستقرار أعتصره الحزن فبات يئن ألماً ، فعندما أرقه النوم ليلاً بات يسترجع الذكريات لتعينه على وحدته، فقد وجد الشعراء في وصف الفراق ولوعته متنفساً يفرغون فيه هواجسهم المتولدة من إفرازات الواقع المرير، ليكتشفوا في وصف الفراق وأوجاع الرحيل صدى لنفوسهم المثقلة بالهموم^(٣٢) ، فهنا يقارن الشاعر بين حاله وحال حبيبته، فهو قد ألم به الداء العياء وهي على أحسن ما يرام وكأنها لم تكثرث لأمره ؛ لذا بدأ الشاعر ببث تلك اللوعات والآهات التي المت به من الحب.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

وبالانتقال إلى الشاعر ابن الدمينة المتوفى (١٣٠ هـ) نجده يتضجر من عذابات السجن ولحظاته العصبية؛ لذا يطلق مجموعة من الأمنيات في قوله : (من الطويل)

دَكَرْتُكَ وَالْحَدَّادُ يَضْرِبُ قَيْدَهُ	عَلَى السَّاقِ مِنْ عَوَجَاءٍ بَادٍ كُعُوبُهَا
فَقُلْتُ لِزَاعِي السَّجْنِ وَالسَّجْنُ جَامِعٌ	قَبَائِلُ مِنْ شَتَّى وَشَتَّى ذُنُوبُهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُرَوَّرَنَ نِسْوَةً	مُضَرَّجَةً بِالزَّرْعَفَرَانِ جُـيُوبُهَا
وَهَلْ أَلْقَيْنَ بِالسَّدْرِ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى	مُصَحَّحَةً الْأَجْسَامِ مَرْضَى قُلُوبُهَا
بِهِنَّ مَنْ الدَّاءِ الَّذِي أَنَا عَارِفٌ	وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْوَاءُ إِلَّا طَبِّيبُهَا
عَلَيْهِنَّ مَاتَ الْقَلْبُ مَوْتًا وَجَانَبَتْ	بِهِنَّ نَوَى غَبٍّ أَشَتْ شَعُوبُهَا (٣٣)

في غياهب السجن تهيج الذكرى لدى الشاعر فيتذكر مجموعة من النسوة وهي مضرجة بالزعران، وكأن الشاعر مختص بأدواء النساء القلبية؛ لذا يهيج الداء الدفين عند الشاعر ، ففي ظلمة السجن وجدرانه المنعزلة يسלט الزمن وطأته على ذات الشاعر فيتجه صوب الذكرى لعلها تخرج الشاعر من ازمته الخائفة، فالشاعر هنا يكيف ويجير الزمن لصالحه ، ((فقد يتحول الليل بظلامه السرمدى ، وطول ساعاته إلى ليلة من ليالي الأُنىس والانشراح ، كما يمكن أن تتحول الليلة نفسها إلى ليلة ليلاء تنقل الشاعر بالهموم والأحزان فتقتلع من جفونه الرغبة الهنيئة لتلقي الزمن ؛ لذلك فإن الزمن تابع لنفسية الشاعر يتلون بإحساسه إزاء الوجود والإحساس بالزمن يكون تبعاً للشاعر نفسه)) (٣٤) فالداء هنا لا يتعلق بالسجن بل بالقلب وما داء القلب غير الحب والهوى والشغف به فهو مختص بأدواء النساء حتى أن قلبه مات من كثرة ذكرهن، فالشاعر العاشق قد جعل ((من الحب ملحمة يتغنى فيها بحسن بلائه وعظيم جهاده، ويفنن فيها في جلاء مظاهر بطولته تجاه ما يعاني من صنوف العذاب وصار بذلك بطلاً لملمحة من نوع جديد)) (٣٥). إن الشاعر السجين يعيش في حالة من الحرمان الحسى من الداخل ويحاول -قدر المستطاع - أن يعالجها معالجة ذاتية لا يدرك وقعها إلا من ذاق مرارة ذلك الإحساس إذ يميل السجين ذاتياً إلى القلق والاكتئاب؛ لذا يظهر الشعر ممثلاً لمشاعر الثورة والمكابرة والعناد (٣٦)، إذ يتجه الشاعر إلى اقرب موجود من أجزاء المحيط الذي كان يتعامل معه قبل سجنه، وتمثل الذكرى منفذاً نفسياً للخلاص من عذابات السجن وجدرانه المظلمة، وهنا يستذكر الشاعر لحظات حياته السابقة التي باتت حلاوتها تزداد بفعل واقعه المر الذي يعيشه فيحاول استحضار لحظات جميلة تنسيه واقعه القاسي الذي يعيشه.

١- المثالب بوصفها داءً: المثالب جمع مثلبة وهي العيوب التي تظهر عند الإنسان وقد تعامل بعض الشعراء على أن تلك المثالب هي داء يصاب به الإنسان سواء أكانت تلك المثالب والعيوب خلقية أو

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

أخلاقية، ويظهر من استقراء القصائد الشعرية التي تظهر تلك الغيوب أنها تقتصر على غرض الهجاء فقط وهذا ما سيتضح في البحث فالشاعر الجاهلي الحكم الفزاري يتخذ من المثلية (اللؤم)، مدخلاً لهجاء بني (وبر) في قوله: (من البسيط)

وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبِرٍ وَوَالِدُهُ	وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبِرٍ وَمَا وَلَدَا
قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِيَهُمْ أَمِنُوا	مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدَا
وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لَوْبِرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ	لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدَا ^(٣٧)

يهجو الشاعر بني وبر بن الأضبط وهم قبيلة من كلاب، ويصفهم بالبخل وهذه الصفات هي بمثابة الداء الذي لا دواء له، فهم يتوارثون هذا الداء جيلاً بعد جيل، واللؤم البخل مع دناءة الأصل، والقود: إن يقتل القاتل بالقتيل فيقال أقدته يقول هم قوم إذا جروا واحد منهم جريرة أمن جميعهم لدقة أصولهم ولؤم أحسابهم أن يؤخذ كلهم بها واللؤم داء: أي داؤهم الدنائة يقتلون به دون غيره من الأدواء وهذا مأخوذ من قولهم العيوب مقاتل، لقد تمكن الشاعر من النيل من تلك القبيلة بتلك الألفاظ ما لم يفعله السيف القاطع، حتى قيل عن تلك الأبيات أنها أهدى ما قالته العرب^(٣٨)، ففضل اللؤم في اللفظ عليهم وعلى أسلافهم، وكأنه قال اللؤم أكرم من أخلاق وبر وأخلاق والده واللؤم: خصال منكرة، إذا اجتمعت سميت لؤماً، كدناءة النفس والبخل مردداً فيهم، والنظر في الأمور التافهة المخزية، ثم بعد ذلك وصف اللؤم بالداء الذي لا دواء له قطعاً.

وبالانتقال إلى الشاعر العباس بن مرداس المتوفى (١٨ هـ) نجده يهجو قوماً من هوازن في قوله :
(من البسيط)

وَفِي هَوَازِنَ قَوْمٍ غَيْرَ أَنَّ بِهِمْ	دَاءَ الْيَمَانِي فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا
فِيهِمْ أَخٌ لَوْ وَفُوا أَوْ بَرَّ عَهْدُهُمْ	وَلَوْ نَهَكْنَاهُمْ بِالطَّعْنِ قَدْ لَانُوا
أَبْلَغُ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا	مَنْ رِسَالَةٍ نُصِجَ فِيهِ تَبْيَانُ
أَنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَابِحَكُمْ	جَيْشاً لَهُ فِي فُضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ ^(٣٩)

يهجو الشاعر قبيلة هوازن ويصفهم بالمرضى وهذا المرض يتمثل بداء اليماني وهو الغدر والخيانة، فالشاعر قال هذه الأبيات بعد أن توجه الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليهم بعد فتح مكة، ففي القصيدة السابقة لم يتوجه الشاعر إلى الهجاء بالسب ولا بالأعراض بل عرى تلك القبيلة من الفضائل، فالغدر والخيانة هي من الصفات المرتبطة بهم، فهذه الأبيات ليس فيها إفحاش ولا إقذاع، ولكنها فن جميل في إذلال المهجو.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

وبالانتقال إلى الشاعر المخضرم كعب بن مالك الأنصاري المتوفى (ت ٥٠ هـ) نجده يهجو بني عامر ويصفهم بالعار الذي نزل بمنزلة الداء في قوله: (من الطويل)

أَعَامَرَ عَامَرَ السُّوءَاتِ قَدَمًا فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّاءِ
أَخْفَرْتُ النَّبِيَّ وَكُنْتُ قَدَمًا إِلَى السُّوءَاتِ تَجْرِي بِالْعَرَاءِ
فَلَسْتُ كَجَارِ جَارِ أَبِي دَوَادٍ وَلَا الْأَسَدِيِّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
وَلَكِنْ عَارُكُمْ دَاءٌ قَدِيمٌ وَدَاءُ الْغَدْرِ فَاغْلَمْ شَرَّ دَاءٍ^(٤٠)

يهجو الشاعر بني عامر لأنهم غدروا بمبعوث رسول الله الذي كان يدعوهم إلى الإسلام ويصفهم بالعار المتمثل بالداء القديم وهو الغدر، وفي حقيقة الأمر أن الغدر ليس بداء ولكنه يعد من المثالب ولكن الشاعر وصفه بالداء الذي سرعان ما ينتشر وهو جزء من هجاء لاذع لهم ((فالهجاء الديني سار في أسلوبه على سبيل الجاهلية وشعرها، فاعتمد على الأنساب والقبيلة، وحماية الجار والدفع إلى الثأر، وذم الجبن والعورات والمثالب، وأضاف إلى ذلك ما كان في الدين الجديد من تعبير بالشرك ومخالفة الله))^(٤١)، وهو يشير إلى أمر خطير يحتقره العرب وهو الغدر ونكت العهد، فالعرب تتدد بالغدر وسوء الجوار. أما الشاعرة ليلي الأخيلية المتوفاة (٨٠ هـ) فنجدتها تسعى لإبراز مجموعة من المثالب في خصمها المثالب في قولها: (من الطويل)

أَنَابِعُ لَمْ تَتَّبِعْ وَلَمْ تَكْ أَوَّلًا وَكُنْتُ صُنِيًّا بَيْنَ صُدَيْنِ مَجْهَلًا
أَنَابِعُ إِنْ تَتَّبِعْ بِلُؤْمِكَ لَا تَجِدْ لِلْوُؤْمِ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْعَلًا
أَعْيَزْتَنِي دَاءٌ بِأَمِّكَ مِثْلُهُ وَأَيُّ جَوَادٍ لَا يُقَالُ لَهُ هَلَا^(٤٢)

تتخذ الشاعرة من الهجاء وسيلة للرد على النابغة الجعدي الذي بدأ بالهجاء، فكانت العرب - في جاهليتها وإسلامها - تتقي الهجاء أشد من اتقائها السلاح، وكانت تبكي ((من وقع الهجاء كما تبكي التُّكْلَى من النساء، وذلك لشرف نفوسها ونزاهتها عن كل ما يتخون جمالها ويعيب فعالها))^(٤٣)، فهي ترد عليه بوصف أمه بنفس الداء الذي عيرها بها وهو النقص والعيب؛ لذا فهي تطلق صفة الداء على العيوب، إذ خرج الاستفهام في الأبيات الثلاثة إلى معنى التوبيخ والاستهزاء. إن الألفاظ تبرز قدرة الشاعر وتفوقه في اختيار ما يعبر عما في نفسه فتكرر (أَنَابِعُ لَمْ تَتَّبِعْ) له مدلولات نفسية خاصة تشي بقوة الهجاء الموجه للنابغة، وهنا تتجه الشاعرة إلى وصف ذلك العيب بالداء لكي تلتصق هذا العيب بخصمها فالداء يصعب معالجته وهنا يترك الهجاء وقعه النفسي الكبير على ذات الشاعر المهجو.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

٢- داء الشيب : يعد الشيب مصدراً مثيراً لهموم الإنسان ؛ ذلك أن لظهور الشيب أثراً نفسياً يدفع النفس البشرية باتجاه انفعالات وتوترات وهواجس حادة يعيشها الإنسان فظهور الشيب يصحبه شعور محبط للإنسان بأن كل شيء ولى وانتهى وها هي سنو العمر تتجه نحو الخواء والعجز، فعادة ما يجد المرء لذة العيش في مرحلة الفتوة والشباب ولا يشعر بالحقيقة المأساوية المتمثلة بالشيب إلا بعد مداهمته له وقتها يدرك المرء أن لحظات عمره قد بدأت تتلاشى شيئاً فشيئاً ؛ لذا يرتد الشاعر صوب الماضي يتحسر على ما فاتته من العمر الذي ولى وانقضى دون رجعة وكأنه ينفر من الحاضر والواقع المعاش ،وهنا لا نتعامل على وصف الشيب بالمرض بل لأن الشعراء وصفوه بالمرض ،فهذا الشاعر المخضرم ساعدة الهذلي (ت ١٥ هـ) يتمنى الخلاص من الشيب في قوله : (من البسيط)

يا لَيْتَ شِعْرِي أَلَا مَنَجِي مِنَ الْهَرَمِ أَمْ هَلْ عَلَى الْعَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ نَدَمٍ
وَالشَّيْبُ دَاءٌ نَجِيسٌ لَا دَوَاءَ لَهُ لِلْمَرءِ كَانَ صَاحِباً صَائِبَ الْفُحْمِ
وَسَنَانٌ لَيْسَ بِقَاضٍ نَوْمَةً أَبَداً لَوْلَا عُدَاةُ يَسِيرُ النَّاسِ لَمْ يَقُمْ^(٤٤)

يطلق الشاعر صرخة استغاثة للخلاص من التقدم بالعمر، فصيغة التمني (يا لَيْتَ شِعْرِي) التي تفيد التمني الذي لا يمكن حصوله، أي أن الشاعر أيقن باستحالة البقاء على عهد الشباب ؛ ولأن الهرم يشمل جميع أعضاء الجسم ويأتي في مقدمتها اللون الأبيض (الشيب) المكروه دائماً من قبل الناس والشعراء ؛لذا نجد أن الشاعر يصفه بالداء الذي لا دواء له البتة ((إن الخوف من الشيخوخة إحساس إنساني يتقاطع فيه كل البشر لما ينطوي عليه من مظاهر توحى بالغرابة النفسية بسبب تغير الأشياء وتحولها من حالة إلى أخرى نتيجة حتمية التجدد ومواكبة تحولات الزمن المتسارع لكن وفي واقع الأمر فإن الخوف من الشيخوخة إنما هو في جوهره تعبير عن إحساس المرء بأنه لم يستطع أن يحيا حياة منتجة ومتفاعلة مع محيطه كما في ريعان الشباب ويتجلى هذا الخوف في عدم انسجامه مع ذاته ومحيطه إذ لم يعد بإمكانه توفير ما كان ممكناً من متعة ولهو وفعالية في حياته))^(٤٥) ، فهو يعيش حالة من التشاؤم بسبب قدوم الشيب ؛لذا فهو ينفي أن يكون هنالك لذة للعيش بعد ظهور الشيب .

ويتساءل الشاعر الأخطل (ت ٩٠ هـ) عن وجود الدواء الشافي من داء الشيب في قوله : (من البسيط)

بِأَنْتِ سَعَادُ فَفِي الْعَيْنَيْنِ تَسْهِيْدُ وَاسْتَحَقَّ بَتُّهُ فَالْقَلْبُ مَعْمُودُ
هَلْ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ
لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شَبَاباً وَلَنْ يَجِدُوا عَدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَمْ حَمُودٌ بِشَاشَتُهُ وَالشَّيْبُ مُنْصَرَفٌ عَنْهُ وَمَصْدُودُ^(٤٦)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

إذ يتحسر الشاعر على أيام الشباب الفائتة ويطلق مجموعة من الأسئلة الاستفهامية (هل الشباب ، أم هل دواء) فهو يتساءل هل لهذا الشيب من دواء نافع، فالشيب في ظنه داء بحاجة إلى دواء ولكن سرعان ما يحبط الشاعر بعد أن تتولد لديه القناعة باستحالة ذلك (لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شُبَّانًا - وَلَنْ يَجِدُوا عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ مَا أَوْرَقَ الْعُودِ)، فالشاعر يجري مقارنة دقيقة بين مرحلة الشباب ومرحلة المشيب ((إن الحديث عن وطأة الشيب وما يتركه من ندوب غائرة في وجدان الشاعر وحياته الراهنة لا ينفصل عن حديث الشاعر فيما أمضى في فتوته وشبابه ؛ولذلك نجد الشيب والشباب يشكلان معاً موضوعاً واحداً متداخلاً يترجم موقف الشاعر إزاء الزمن في لحظة تألم واعتبار يستسلم فيها إلى استذكار محطات الماضي المفعمة بالبهجة ولذة الحياة هروباً إليها من فعل الزمن وشراسة اللحظة الراهنة فيجد في ذكرياته ومغامرات شبابه متعة ولذة يقاوم بها مظاهر الوهن والشيخوخة وما يكتنفها من عجز وعدم مقدرة على تحقيق ذاته ((^(٤٧)، ومن هنا يمكن القول: إن هروب الشاعر إلى الماضي يمثل الملاذ الآمن وملجأً يتقي في ظله شرور الشيخوخة ورهن الذات لمجابهة الحاضر وعدم الاستسلام له ((فالخوف من الشيخوخة إنما هو في جوهره تعبير عن إحساس المرء بأنه لم يستطع أن يحيا حياة منتجة وبالتالي فإنه رد فعل يقوم به ضمير المفرد ضد عملية التشويه الذاتي التي مارسها في نفسه))^(٤٨)، هكذا يهرب الشعراء من بياض الشيب فهو ينذر بمرحلة عمرية جديدة لا يتحمل الشاعر ثقلها؛ لذا تفيض قريحته الشعرية بالنفور من الشيب وعدم الترحيب به ووصفه بالداء.

وبالانتقال إلى الشاعر القحيف العقيلي (١٣٠ هـ) نجده يصف الشيب بالداء المكروه في قوله: (من الطويل)

ووالله لا أنسى وإن شطّط النوى	عرانيهنّ الشّم والأعين النّجلا
ولا المسك من اعرافهنّ ولا البرى	جواعل في أوساطها قصباً خدلا
خليلي لولا الله ما قلت مرحباً	لأول شيبات طلّعن ولا أهلا
خليلي إن الشيب داء كرهته	فما أحسن المرعى وما أقبح المحلا
ومن أعجب الدنيا إليّ زجاجة	تظلّ أيادي المنتشين بها فتلا
يصوبون فيها من كروم سلافة	يروح الفتى عنها كأنّ به خبلا ^(٤٩)

نجد أن الشاعر لا يرحب بطلوع أول الشيبات على رأسه، لكنه يتذكر إرادة الله؛ لذا يتوجه صوب خليليه ليشتكي من هذا الداء (خليلي إن الشيب داء كرهته) ويتخذ موقف المبغض والكاره لهذا الحدث الطارئ على جسمه، فالكراهة هنا لا تأتي من فراغ ، إذ إن توقد الشيب شكل مصدر شؤم وقلق دائمين للإنسان حين يضعه أمام تحد صعب ومنعطف يمثل ذلك التبدل والتحول من مرحلة الحيوية والشباب إلى مرحلة المشيب فيمتلكه وضع نفسي يحركه واقع الفقد والاستلاب رغما عنه وذلك ما تجزعه النفس التي قد تستسلم للقدر في

النهاية ، فالشيب -حال ظهوره- يولد حالة من الرفض عند الإنسان ويجعله في حالة عجز تام في كل الأحوال^(٥٠)؛ لذا غالبا ما يكون موقف الشاعر منه سلبياً ((فالتقدم بالسن حالة وجودية مرتبطة بوجود المرء ، ونظرته الوجودية الخاصة لهذا الكون فهو حين يصحو وقد داهمته الشيخوخة يشعر بالتلاشي في غمرة حركية الزمن وتسارعه ومن ثم تكتسي حياته طابعاً تشاؤمياً ينعكس في رؤيته لوجود وميله إلى العزلة والخواء))^(٥١)، فالشيب لا يأتي بمفرده وإنما هو علامة مهمة على تقدم السن وظهور أعراض الكبر والعجز على ذات الشاعر؛ لذا نجد الشعراء ينفرون منه ولا يرحبون به مطلقاً.

المبحث الثاني /الدواء

١- الدواء والشفاء من داء الحب: إن الداء والدواء من الثنائيات المتلازمة ؛ لذا بحث الشعراء عن دواء لحالات السقم والمرض التي يعانون منها؛ ولإصابة معظم الشعراء بداء الحب بحثوا باستمرار لإيجاد دواء شافٍ لمرضهم بعد أن وصفوه هم في أشعارهم بالمرض، فهذا الشاعر عنترة بن شداد يشتكي من عذابات الحب ونيرانه ويعلن أن وصل الحبيبة عبلة ورؤيتها هو الشفاء من كل داء ، فيقول: (من الكامل)

رَمَتِ الْفَوَادُ مَلِيحَةً عَذَاءُ	بِسَهَامٍ لَحَظَ مَا لَهْنُ دَوَاءُ
مَرَّتْ أَوَانَ الْعِيدِ بَيْنَ نَوَاهِدِ	مِثْلَ الشَّمُوسِ لِحَاطْهُمْ ظُبَاءُ
فَاغْتَالَنِي سَقَمِي الَّذِي فِي بَاطِنِي	أَخْفَيْتُهُ فَأَذَاعَهُ الْإِخْفَاءُ
خَطَرْتُ فَقُلْتُ قَضِيبُ بَانَ حَرَكَتِ	أَعْطَاهُ بَعْدَ الْجَنُوبِ صَبَاءُ
وَرَبَّتْ فَقُلْتُ غَزَالَةٌ مَذْعُورَةٌ	قَدْ رَاعَهَا وَسَطُ الْفَلَاةِ بَلَاءُ
وَبَدَتْ فَقُلْتُ الْبَدْرُ لَيْلَةٌ تَمَّهُ	قَدْ قَلَدْتَهُ نُجُومُهَا الْجَوَازُ
بَسَمَتْ فَلَاحَ ضِيَاءُ لَوْلُو ثَغْرَهَا	فِيهِ لِدَاءِ الْعَاشِقِينَ شِفَاءُ ^(٥٢)

فسهام لحظ عبلة ليس لهن دواء غير وصلها ومباشرتها، فالشاعر يعاني من سقم ومرض الحب وهو سقم عصي على العلاج ،غير أنه ليس بعصي على عبلة عندما يكون ثغرها وابتسامتها مصدرا للعلاج بل العلاج بحد ذاته (بَسَمَتْ فَلَاحَ ضِيَاءُ لَوْلُو ثَغْرَهَا-فِيهِ لِدَاءِ الْعَاشِقِينَ شِفَاءُ)، إن دوافع العشق هي ((مصادفة النفس ما يلائم طبعها. فتستحسنه وتميل إليه ، وأكثر أسباب المصادفة النظر، ولا يكون ذلك باللمح بل بالنتيبت في النظر ومعاودته، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس ورامت القرب منه، ثم تمت الاستمتاع به فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه في الغيبة حاضرا ، وشغلها كله به))^(٥٣) فالشاعر يقرر أن للعاشقين داء خاصاً بهم وهو يختلف عن كل مرض وداء، وكذلك الشفاء من هذا المرض مختلف أيضاً، فهو لا يتحدد بوصفة طبية بل بما يوجد به الحبيب الطرف الآخر من وصل.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

وبالانتقال إلى الشاعرة الجاهلية أم الضحاك نجدها تشتكي من أعراض الحب ومرارته في قولها : (من الطويل)

فَلَوْ أَنَّ أَهْلِي يَعْلَمُونَ تَمِيمَةً مِنْ الْحَبِّ تَشْفِي قَلْدُونِي التَّمَانِمَا^(٥٤)
وقولها : (من الطويل)

سَأَلْتُ الْمَحِبِّينَ الَّذِي تَحْمَلُوا تَبَارِيحَ هَذَا الْحَبِّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا يَذْهَبُ الْحَبِّ بَعْدَمَا تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصُّدْرِ
فَقَالُوا شِفَاءَ الْحَبِّ حُبٌّ يُزِيلُهُ مِنْ آخِرِ أَوْ نَائِي طَوِيلٍ عَلَى هَجْرٍ
أَوْ الْيَأْسِ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ بَعْدَمَا رَجَتْ طَمَعًا وَالْيَأْسَ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ^(٥٥)

فالشاعرة في الأبيات السابقة تلتمس وصال الحبيب حتى أنها وصفت الحب بالداء وظلت تبحث عن الدواء والرقية الشافية منه، فهي تعلن بأسلوب خفي غير معلن شدة الوفاء الذي تحمله لهذا الحبيب وبقائها على العهد على الرغم من حالة الهجر من حبيبها التي تشي بها الأبيات السابقة، فالشاعر ((رجل مغلوب على أمره يعيش رهن آلامه وأوجاعه وسهره ودموعه))^(٥٦)، إذ انسابت مشاعرها في ذلك الشوق والاسى المعلن في تساؤلاتها بعدما أضناها البعد، فشعرها يفصح عن تلك الآهات والحسرات التي باتت تحرق قلبها، سيما وقد خاطبت الشاعرة من جربوا وعاشوا تجارب الحب قبلها في حوار يكشف في ثناياه عن حيرتها وقد باعدها الحبيب.

ويرسم لنا الشاعر المخضرم سحيم عبد بني الحسحاس المتوفى (٤٠ هـ) صورة من نوع آخر في قوله : (من الطويل)

وَمَا جَنَّتْهَا أَبْغَى الشِّفَاءِ بِنَظَرَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا إِلَّا رَجَعْتُ بِدَائِيَا
وَلَا طَلَعَ النِّجْمُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ وَلَا الصَّبْحُ حَتَّى هِجَا ذَكَرَهَا لِيَا
أَشَوْقَا وَلَمَا يَمِضُ لِي غَيْرَ لَيْلَةٍ رَوَيْدُ الْهَوَى حَتَّى يَغِيبَ لِيَا لِيَا^(٥٧)

إن النظرة من شأنها أن تفعل فعلها بالشخص المحب فنظرة واحدة من الحبيب كافية بمعالجة حالة الشوق التي يعانيتها المحب، ولكن الشاعر يبدو طامعاً بأكثر من ذلك فما زال الشاعر لم يرتو من الحب فكلماً ابصرها زاده ذلك شوقاً إليها، فـ ((الإحساس بالعشق كان دافعاً نفسياً نشيطاً ومحركاً قوياً في إثارة مشاعر الشعراء وأحاسيسهم وشحن طاقاتهم الشعرية، فكان غزلهم انعكاساً لعشقهم))^(٥٨)؛ لذا يصف هذا الشوق بالداء الذي لا علاج له فهو في حالة شوق دائم ومستمر لحبيبته وهو عاشق طامع لا يكتفي بالنظرة الواحدة، فهو يتذكرها باستمرار عند طلوع النجم وكذلك عند ظهور النهار.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

ويشتكي الشاعر عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ) من عذابات الحب ويعلم عن هيامه بحبيبته في قوله: (من البسيط)

بَأَنْتِ سُلَيْمَى وَقَدْ كَانَتْ تُؤَاتِينِي	إِنَّ الْأَحَادِيثَ تَأْتِيهَا وَتَأْتِيَنِي
فَقُلْتُ لَمَّا اِلْتَقَيْنَا وَهِيَ مُعْرِضَةٌ	عَنِّي لِيَهْنِكَ مَن تُدْنِيهِ دُونِي
مَنْبِتِنَا فَرْجًا إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً	يَا بِنْتَ مَرَّةٍ حَقًّا مَا تَمَنِّيَنِي
مَاذَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَجْدَيْتَهُ سَقَمًا	مِنْ حَضْرَةِ الْمَوْتِ نَفْسِي أَنْ تَعُودِيَنِي
وَتَجْعَلِي نُطْفَةً فِي الْقَعْبِ بَارِدَةً	فَتَغْمِسِي فَاكٍ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِيَنِي
فَهِيَ شِفَائِي إِذَا مَا كُنْتُ ذَا سَقَمٍ	وَهِيَ دَوَائِي إِذَا مَا الدَّاءُ يُضْنِيَنِي ^(٥٩)

يبدأ الشاعر قصيدته بأبغض الأشياء له وهو الفراق (بانت سلمي) ومن بعد ذلك يصف لنا حاله وما حل به فالألفاظ (أجديته سقماً - فهي شِفائي - كُنْتُ ذَا سَقَمٍ - وهي دوائي - الداءُ يُضْنِيَنِي) تشي لنا أن الشاعر يعيش بحالة مرضية خاصة بحاجة إلى علاج ودواء، ولكنه علاج من نوع خاص، فالشاعر يتمنى ويترجى من محبوبته (ماذا عليك) أن تغمس فاهها في الماء البارد ثم يشرب من بعدها، فهذا دواء له من كل داء، ومن هنا نفهم أن الشاعر يعاني من فرط الصبابة وشدة العشق لمحبوبته التي ذكر اسمها جهاًراً نهاراً أو كنى عنها فتجتمع ألفاظ المرض والسقم وألفاظ الدواء والشفاء في النص السابق لتبين لنا حالة الشاعر وهو يعاني من سكرات الحب، فالشاعر يتوجه بخطابه إلى حبيبته علّه ينال ما تصبو نفسه إليه ليضعف حدة التوتر النفسي وهنا يمثل الخطاب والحوار مع الحبيبة منقذاً نفسياً، فقد يلجأ الشاعر إلى الحوار بأسلوب لا يخلو من التوسل حيث يطلب من محبوبه أن تعطف عليه وترق لحاله وقد تتراجع تفاصيل الحوار حتى تغدو مجرد مدخل إلى التجربة الشعرية سيما في المقاطع التي تتبثق عن رغبة الشاعر في إخضاع تجربته لمنطق التفريغ العاطفي ليؤدي ذلك الخطاب مهمته المرجوة من استعطاف المحبوبة والطمع في النيل من وصالها والتقرب منها^(٦٠)، فما زال الشعراء يعانون من الحب ومرارته في كل عصر من العصور فالصد والهجر والابتعاد تفعل فعلها بالشاعر.

أما الشاعر مجنون ليلى قيس بن الملوح المتوفى (٦٨ هـ) فقد يأس من طبيب الأُنس فلجأ إلى طبيب الجن ليخلصه من مرضه قوله: (من الطويل)

أَلَا يَا طَبِيبَ الْجَنِّ وَيَحْكَ دَاوَنِي	فَإِنَّ طَبِيبَ الْإِنْسِ أَعْيَاهُ دَائِيَا
أَتَيْتُ طَبِيبَ الْإِنْسِ شَيْخاً مُدَاوِيَا	بِمَكَّةَ يُعْطِي فِي الدَّوَاءِ الْأَمَانِيَا
فَقُلْتُ لَهُ يَا عَمُّ حُكْمُكَ فَاحْتَكِمِ	إِذَا مَا كَشَفْتَ الْيَوْمَ يَا عَمُّ مَا بِيَا

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

فَخَاضَ شَرَاباً بَارِداً فِي رُجَا جَاةٍ وَطَرَحَ فِيهِ سَلَوَةً وَسَلَوَانِيَا
فَقُلْتُ وَمَرَضَى النَّاسِ يَسْعَوْنَ حَوْلَهُ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْكَ مُدَاوِيَا
فَقَالَ شِفَاءُ الْحُبِّ أَنْ تَلْصِقَ الْحَشَا بِأَحْشَاءٍ مَنْ تَهْوَى إِذَا كُنْتَ خَالِيَا^(٦١)

في سرد خيالي يستتجد الشاعر بطبيب الجن بعد أن تعذر على طبيب الإنس مداواته وكشف ما به من عله ومرض، وعند استقراء الأبيات السابقة يتضح حجم المعاناة لدى الشاعر، سيما وأنه قد عاش قصة حب حقيقية فالألفاظ (ألا يا طبيب- ويحك داوئي- فإن طبيب- أعياه دائيا- أتيت طبيب- شيخاً مداوياً- في الدواء- فخاص شراباً- ومرضى الناس- منك مداوياً- شفاء الحب) تحكي لنا بصمت حالة الشاعر العشقية وهيامه بحبيبته ليلي، وفي نص آخر يقول: (من الوافر)

شَكَوْتُ إِلَى رَفِيقِي الَّذِي بِي فَجَاءَنِي وَقَدْ جَمَعَ دَوَاءَ
وَجَاءَ بِالطَّبِيبِ لِيَكُوِيَانِي وَمَا أَبْغِي عَدَمَهُمَا إِكْتَوَاءَ
فَلَوْ ذَهَبَا إِلَى لَيْلَى فَشَاءَتْ لَأَهْدَتْ لِي مِنَ السَّقَمِ الشِّفَاءَ
تَقُولُ نَعَمْ سَأَقْضِي ثُمَّ تَلْوِي وَلَا تَتَوَي وَإِنْ قَدَرْتَ قَضَاءَ
أَصَارِمَةً حِبَالِ الْوَصْلِ لَيْلَى لِأَخْضَعَ يَدَّ عِي دُونِي وَلَاءَ^(٦٢)

بعد أن بدت علامات المرض على الشاعر ظن رفيقه أنه يعاني من الداء والمرض ؛ لذا بادرا لجلب الطبيب غير أن الشاعر قد شخص علته مسبقاً فلا دواء يشفي من علته التي به غير حبيبته ليلي (فلو ذهباً إلى ليلي- لأهدت لي من السقم الشفاء) فالشاعر ((لا يرى في المرأة مخلوقة من لحم ودم وأعصاب ، وإنما يراها سبيكة نورانية))^(٦٣). فشفاء الشاعر يتمثل بوصل ليلي لا بصزمها والابتعاد عنها. وبالانتقال إلى الشاعر جميل بثينة المتوفى (٨٢ هـ) نجده يتحسر وبحرقه على الناي والابتعاد عن حبيبته (بثينة) في قوله : (من الطويل)

وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَاً يَرَى نِضْوً مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا
وَمَا زِلْتُ بِي يَا بَثْنَ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي مِنْ الْوَجْدِ أَسْتَبْكِي الْحَمَامَ بَكَى لِيَا
إِذَا خَدَرْتُ رِجْلِي وَقِيلَ شِفَاؤُهَا دُعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتَ أَنْتِ دُعَانِيَا
إِذَا مَا لَدَيْغُ أَبْرَأَ الْحَلِي دَاءَهُ فَحَلِيكَ أَمْسَى يَا بُثْنَيْنَةُ دَانِيَا
وَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا سُلُوءاً وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا
وَلَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَابَاةً وَلَا كَثَرَةُ الْوَاشِينَ إِلَّا تَمَادِيَا^(٦٤)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

يستحضر الشاعر هنا في الأبيات السابقة المعتقدات الأسطورية والخرافية في إعلان شوقه لحبيبته بثينة فالعرب تزعم أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر اسم أحب الناس إليه ذهب عنه خدر الرجل وكذلك تزعم العرب أن تعليق الحلي والخلخل على اللديغ يبرؤه من السم لأنه يمنعه من النوم حتى لا يسري السم في دمه فيموت ،ونلاحظ شدة الإحباط واليأس لدى الشاعر وقد تيقن من استحالة اللقاء، فرسم لنا صورة من المفارقة تتمثل في صوت الحلي المنبعث من حبيبته فهذا الصوت لا يشفي الشاعر كما يشفي اللديغ بل إن لصوت الحلي وقعاً نفسياً خاصاً في أذن الشاعر فهو يتسبب بنوع من المرض إلى ذات الشاعر، فهو يسقط همومه وآلامه على ذلك الطائر الوديع الحمام، فحبيبته ((ليست بشراً كالنساء ، يجوز عليها ما يجوز على البشر حتى لتوشك أن تكون روح الحياة وجوهرها))^(٦٥)، فالإيأس من المحبوبة مجلبة للبكاء وانسكاب الدموع سيما وقد أصبحت هي الداء والدواء في آن واحد.

وبالانتقال إلى الشاعر المرار بن منقذ نجده في حيرة من أمره بسبب معاناته العشقية فيقول: (من الرمل)

صُورَةُ الشَّمْسِ عَلَى صُورَتِهَا	كُلَّمَا تَغَرَّبُ شَمْسٌ أَوْ تَذُرُّ
تَرَكْتَنِي لَسْتُ بِالْحَيِّ وَلَا	مَيِّتٍ لَأَقَى وَفَاةً فَقُبْرُ
يَسْأَلُ النَّاسُ أَحْمَى دَاوُهُ	أَمْ بِهِ كَانَ سُلَالٌ مُسْتَسِرُّ
وَهِيَ دَائِي وَشِفَائِي عِنْدَهَا	مَنْعَتُهُ فَهَوُ مُلَوِّي عَسِيرُ
وَهِيَ لَوْ يَفْتُلُّهَا بِي إِخْوَتِي	أَدْرَكَ الطَّالِبُ مِنْهُمْ وَظَفَرُ
مَا أَنَا الدَّهْرُ بِنَاسٍ ذِكْرُهَا	مَا غَدَتْ وَرَقَاءُ تَدْعُو سَاقَ حُرٍّ ^(٦٦)

في مفارقة واضحة يعلن الشاعر أن الداء والدواء يجتمع في حبيبته فهي داء عندما لا تعير له أي اهتمام وتتركه متحيراً لا هو - (بِالْحَيِّ وَلَا مَيِّتٍ لَأَقَى وَفَاةً فَقُبْرُ)، ثم ننتقل إلى المفارقة الأخرى وهي رغبة الشاعر في الانتقام من حبيبته في حال موته وإدراك الثأر من قبل إخوته وهي مفارقة أخرى فبعد أن شك الناس من أصابته بالسلال وهو الهزال دلالة على المرض، يصرح الشاعر أن شفاء حالته من المرض الذي ألم به هو عند الحبيبية وهي تمنعه عنه؛ غير أنه لا يبادر إلى المعاملة بالمثل بل يظل الشاعر وفياً لهذه العلاقة فهو لا ينسى ذكرها على مر الزمان وصيغة التأبيد المتمثلة (ما غَدَتْ وَرَقَاءُ تَدْعُو سَاقَ حُرٍّ)، إن استحضار صورة الحمام في النص السابق تدل على حنين الشاعر وشوقه إلى حبيبته فلطالما ارتبطت صورة الحمام بالحنين والبكاء ومن هنا نفهم تأثير الشعراء بصوت هذا الطائر فد-((الحمامة تبكي وتغني وتتوح وتغرد وتسجع وتفرقر وتترنم؛ وإنما لها أصوات سجيح لا تفهم فيجعله الحزين بكاء ،ويجعله المسرور غناء))^(٦٧) ، فهو لا ينسى حبيبته ما دامت تلك الحمامة تدعو ذكرها وتحن إليه بين الحين والآخر .

٢- الشفاء من المرض والداء المتعلق بالأساطير والخرافات: آمن العرب ببعض الأساطير والخرافات ومن تلك الأساطير والخرافات السائدة لدى العرب قديماً نقاوة وطهارة دماء الملوك وأن باستطاعتها الشفاء من مختلف الأمراض البدنية والنفسية منها ((قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه، إلا أن يسقى من دم ملك))^(٦٨)، ويقول الجاحظ ((وكان أصحابنا يزعمون أن قولهم: دماء الملوك شفاء من الكلب، على معنى أن الدّم الكريم هو الثأر المنيم))^(٦٩).

فالشاعر الجاهلي المتلمس الضبي المتوفى (٤٣ قبل الهجرة) يقول في معرض الفخر بأخواله: (من الطويل)

مِن الدارِمِيِّينَ الَّذِينَ دِمَاؤُهُمْ شِفَاءٌ مِّنَ الدَّاءِ الْمَجْنَةِ وَالْخَبْلِ^(٧٠)

فهو يرد الفخر بأخواله وأنهم من القوم الشرفاء فذهب إلى توظيف الأسطورة التي تذهب إلى أن دماء الملوك شفاء من داء الخبل والمجنّة ((والعرب تقول: دماء الملوك شفاء من عَضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ والجنون والخبْل))^(٧١)، فهو يؤكد في شعره الانتساب إلى تلك القبيلة من جهة أمه، ((إن حلم الشاعر والفنان على وجه العموم يتحقق فيما يبدعه من نتاج فني يجده سبيلاً ليفرغ فيه شحنته النفسية والفكرية على حد سواء وهذا يعني أن الشاعر يعتمد على مخيلته في استقراء ما ابدعته الثقافة الأسطورية والتجربة الوجدانية التي تستثير في الشاعر خياله المبدع الناتج من الحدس التصوري فتعطيه قوة انفعالية تستقر في تجربته لتمنح حياته أهمية خاصة))^(٧٢)، فالشاعر يستحضر هذا المعتقد الأسطوري في بنية القصيدة حسب ما يراه العرب وذاك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفي من عَضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ، وتشفي من الجنون والأمراض الأخرى.

وبالانتقال إلى الشاعر المخضرم أمية بن أبي الصلت المتوفى (٥ هـ) نجده يمدح عبدالله بن جدعان ويصفه بالكرم والذكاء، في قوله: (من الوافر)

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي	حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْأُمُورِ وَأَنْتَ قَرَمٌ	لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ	عَنِ الْخُلُقِ السَّنِيِّ وَلَا مَسَاءُ
فَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَاهَا	بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا	كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
ثُبَارِي الرِّيحِ مَكْرَمَةٌ وَمَجْدًا	إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجَحَرَهُ الشَّتَاءُ
إِذَا خُلِفْتَ عَبْدَ اللَّهِ فَاَعْلَمْ	بِأَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ جَزَاءُ
فَأَبْرَزَ فَضْلَهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ	كَمَا بَرَزَتْ لِنَازِلِهَا السَّمَاءُ

فَهَلْ تَخْفَى السَّمَاءُ عَلَى بَصِيرٍ وَهَلْ بِالشَّمْسِ طَالَعَةً خَفَاءُ
بُنَاءُ مَكَارِمٍ وَأُسَاءُ كَلِمٍ دَمًا وَهُمْ مِنْ الْكَلِمِ الشِّفَاءُ^(٧٣)

يسلك الشاعر غرض المديح لنيل رضا الممدوح، فعلى عادة الشعراء يصف الشاعر ممدوحه عبدالله بن جدعان بالكرم والفتنة، فهو كريم في أحلك الظروف وأشدّها وطأة، ثم يوظف ما ذهبت إليه العرب بأن دماء الملوك تشفي من الجروح والأمراض المختلفة ((الشعر نزف فكري وجداني لدى الفرد الشاعر ينفته إلى الوسط من مخيلة تمثل محصلة تشترك في صناعتها مؤثرات الرغبة والإرادة والحاجة البايولوجية ومركزية الأنا والمكانة الاجتماعية والمعدات الممكنة من الثقافة والتحضر ولما كانت هذه المؤثرات تمثل في حقيقتها حالة مدركات عند الشاعر ولما كان الشاعر يعطي لحالة الإدراك حجمها ونوعها ووضعها وسعتها طبقاً لنضجه الداخلي تمثل محصلة هذه المؤثرات هي أيضاً حالة منتقلة من وعي إلى وعي يفوق اللاحق فيه السابق بممكنات الفهم والتصور والتعامل))^(٧٤)، أي أن ممدوحه لهم الشرف الذي ليس فوقه شرف والنباهة التي لا توازيها نباهة كما أن الشمس لا نظير لها جعلهم أشهر من النور، ((لذلك نتوقع من الشاعر أن يلجأ إلى الأسطورة يلتبس فيه أنسب شكلاً للتعبير عن خبرته لأن الخبرة المبدئية هي مصدر قدرته المبدعة))^(٧٥)، فالأسطورة التي تغني الشعر هي الأسطورة القادرة على استثارة المتلقي وجعله عنصراً فعالاً في فك رموز القصيدة الشعرية .

وفي معرض الغزل نجد الشاعر جرّان العود النميري المتوفى (٦٨ هـ) يتغزل بحبيبته مدعياً قدرتها على الشفاء من أمراض مختلفة يقول من (البسيط)

كَأَنَّ بَيْنَ تَرَاقِيهِهَا وَلِبَتِّهَا جَمْرًا بِهِ مِنْ نُجُومِ اللَّيْلِ تَفْصِيلُ
تَشْفِي مِنَ السَّلِّ وَالْبَرَسَامِ رِيقَتُهَا سَقَمٌ لِمَنْ أَسْقَمَتْ دَاءً عَقَابِيلُ
تَشْفِي الصَّدَى أَيْنَمَا مَالَ الضَّجْبُجُ بِهَا بَعْدَ الْكَرَى رِيقَةً مِنْهَا وَتَقْبِيلُ
يَصْنُبُوا إِلَيْهَا وَلَوْ كَانُوا عَلَى عَجَلٍ بِالشَّعْبِ مِنْ مَكَّةَ الشَّيْبُ الْمَثَاكِيلُ
تَسْبِي الْقُلُوبَ فَمِنْ زَوَارِهَا دَنَفٌ يَعْتَدُّ آخِرَ دُنْيَاهُ وَمَقْتُولُ
كَأَنَّ ضَحَكَهَا يَوْمًا إِذَا ابْتَسَمَتْ بَرَقَ سَحَابُهُ غُرٌّ زَهَالِيلُ^(٧٦)

إذ أراد الشاعر أن يظهر شغفه وحبّه لحبيبته، فراح يصفها بمجموعة من الصفات الاسطورية مدعياً أن ريق الحبيبية يشفي من الأمراض المختلفة مثل السل والبرسام، وكذلك يشفي ريقها الصدى وهو شدة العطش دون تغيير رائحة الفم ليلاً على عكس ما هو معهود من تغير رائحة الفم في الليل، ثم يرسم لنا الشاعر صورة مغايرة لتلك الحبيبية تتمثل في المفارقة فهي لديها الشفاء ولكنها أيضاً تحمل السقم والمرض لمن أغرم

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

وهام بحبها ((فالأسطورة في نظر الباحثين ليست سوى تجسيد لأخيلة لا واعية أي بوصفها ترسبات ناتجة عن تفاعلات اللاوعي الجمعي كما جاء ذلك عن يونج اعتقاداً منه أن صورة اللاوعي في التحليل النفسي تعد صورة ناقلة لتداعيات اكتناه الرموز المترسبة في قاع اللاشعور الجمعي))^(٧٧)، هكذا يصور الشاعر علاقته بالحبيبة موضعاً قدرتها على الشفاء من مختلف الأمراض والعلل إلا علته المتمثلة بداء الحب فهي بسبب هجرها للشاعر كانت له سقم لا دواء. أما الشاعر الفرزدق المتوفى (١١٠ هـ) فيقول في معرض الفخر: (من الطويل)

وَمُعْتَبِطٍ فِيهِ السَّنَامُ الْمُسَدَّفُ	وَكُلُّ قَرْيٍ الْأَضْيَافِ نَقَرِي مِنَ الْقَنَّا
شَفَتْهَا وَذُو الدَّاءِ الَّذِي هُوَ أَدْنَفُ	وَلَوْ تَشْرَبُ الْكَلْبِي الْمَرَضُ دِمَاعِنَا
يَفُوقُ وَفِيهِ الْمَيِّتُ الْمُتَكَنَّفُ	مِنَ الْفَانِقِ الْمَحْبُوسِ عَنْهُ لِسَانُهُ
وَأَكْرَمَهُمْ مِنْ بِالْمَكَارِمِ يُعْرِفُ ^(٧٨)	وَجَدْنَا أَعَزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى

ينطلق الشاعر الفرزدق من غرض الفخر بقبيلته، إذ استطاع تجيير المعتقد الأسطوري والخرافي في بنية القصيدة، (إن المحتوى لدى شاعر ما في مجتمع ما لا يخلو -في أدق صوره الفنية وتجرده الذاتي- من التصور الأسطوري وتدخل حاجات الرمز والتعبيرية والانطباع والتحوير كلها عوامل فاعلة في مثل هذا الشعر الناقل لتلك الميثولوجيا))^(٧٩)، والكلبي هنا من الكلب على اعتبار أن دماء الملوك تبرئ من الكلب وفقاً للمعتقدات المتوارثة عن الجاهليين ودمائهم قادرة على شفاء حتى الشخص الميؤوس من أمره المحتضر الذي تجمع الناس لوداعه ((هذه الميثولوجيا توظيف حسي مباشر وعمل لاشعوري في مخيلة الفرد في آن وهذا التوظيف تشترك فيه عوامل زمن الفرد وعوامل مكانه الامر الذي يؤدي إلى تغاير مضمون الأسطورة من فرد إلى فرد مجتمع لمجتمع آخر تبعا لتغاير الزمان والمكان العاملين في كيان ذلك الفرد وذلك المجتمع))^(٨٠)، ويقول الشاعر الفرزدق في موضع آخر: (من الطويل)

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ يَكُونُ غَسْلُهُمْ	قَرْيَ فَأَرَةَ الدَّارِيَّ تُضْرَبُ فِي الْعَسَلِ
فَمَا وَجَدَ الشَّافُونَ مِثْلَ دِمَائِنَا	شِفَاءً وَلَا السَّاقُونَ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ ^(٨١)

إذ يرى الشاعر وحسب المعتقدات الاسطورية أن دماء أبناء قبيلته قادرة على الشفاء والاستطباب وهو يسلك الباب الخلفي ليعلن عن طريق ذلك أشياء أخرى، من ضمنها أن تلك القبيلة عظيمة الشأن وتترفع في سموها عن القبائل الأخرى.

٣- الدواء والشفاء بالخمير: الشعر الخمري من الموضوعات القديمة التي ظهرت في العصر الجاهلي والعصور اللاحقة، ولكنه لم يكن غرضاً منفصلاً حتى العصر العباسي، إذ وصف الشعراء الخمر بأوصاف

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

مختلفة انطلاقاً من لونها وطعمها ومصدر قدومها وأقداحها وأباريقها، غير أن بعض الشعراء وصفها بالدواء الشافي من الأمراض فخرتهم خمرة يمتزج فيه الاحساس بالفكر والروح، وتذوب فيه النفس شوقاً للخلاص من المصائب والآلام ، فهذا الشاعر الجاهلي عنتر بن شداد المتوفى (٢٢ ق.هـ) يصف الخمرة بالدواء الشافي من الأمراض والعلل النفسية في قوله: (من الطويل)

أُرَاعِي نُجُومَ اللَّيْلِ وَهِيَ كَأَنَّهَا	قَوَارِيرُ فِيهَا زَيْبَقٌ يَتَرَجَّرُ
وَتَحْتِي مِنْهَا سَاعِدٌ فِيهِ دُمْلُجٌ	مُضِيٌّ وَفَوْقِي آخِرُ فِيهِ دُمْلُجٌ
وَإِخْوَانِ صَدِيقٍ صَادِقِينَ صَحْبَتَهُمْ	عَلَى غَارَةٍ مِنْ مِثْلِهَا الْخَيْلُ تُسْرَجُ
تَطُوفُ عَلَيْهِمْ خَنْدَرِيسٌ مُدَامَةٌ	تَرَى حَبَاباً مِنْ فَوْقِهَا حِينَ تُمْرَجُ
أَلَا إِنَّهَا نِعَمُ الدَّوَاءِ لِشَرَابٍ	أَلَا فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ مَا أَنْتَ تَخْرُجُ
فَنُضْحِي سُكَارَى وَالْمُدَامُ مُصَنَّفٌ	يُدَارُ عَلَيْنَا وَالطَّعَامُ الْمُطْبَهُجُ ^(٨٢)

وصف كثير من الشعراء الخمرة بأوصاف كثيرة غير أن قليلاً منهم من أطلق عليها صفة الدواء، وهذا عنتر بن شداد يصفها بأنها دواء ونعم الشراب، فهي بمثابة الدواء الذي يزيل الهم و يشفي الصدور لما بها من علل وأمراض نفسية لا بدنية، فالإحساس بالليل يكتسب دلالاته الخاصة عند الشاعر، فالليل بما يحويه من مشاهد ومناظر أصبح يستقطب مختلف الموضوعات التي يتأثر بها الشاعر في حياته المعاشة، إذ يتفاعل الشاعر بوعي فلسفي وجمالي في استقبال الليل واستيعاب زمنه ويتمكن بطريقة وأخرى من تجيير لحظاته المثقلة بالهموم إلى لحظات إيجابية ، فـ((للنهوض بهذه الصورة نلغي تعاور جملة من الحواس ،فحاسة الذوق إلى جانب حاسة البصر تضاف اليهما مظاهر الحركة كلها وسائل فنية تجتمع لتظهر الصورة على ما هي عليه من حياتيه وتكامل ،مما يعطي انطباعاً بأن الشاعر عاش بحق هذه التجربة وتحسس أثرها وتأثيرها بكل وجدانه ،وهو الملمح الذي يكشف بجلاء رؤية الشاعر التفاضلية إزاء ماضيه وحاضره))^(٨٣)، فالخمر بما تفعله من تأثير نفسي كانت نعم الشراب لدى الشاعر .

وبالانتقال إلى الشاعر المخضرم الأعشى المتوفى (٧ هـ) نجده يصف الخمرة بالدواء في قوله : (من

المقارب)

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ	وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لِكَيْ يَعلَمَ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ	أَتَيْتُ المَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا
كُمَيْتٍ يَرَى دُونَ قَعْرِ الْإِنَى	كَمِثْلِ قَدَى الْعَيْنِ يُقْدَى بِهَا
وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسَمِي	نُ وَالْمُسَمِعَاتُ بِقُصَاتِهَا
وَمِرْهَرُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ	فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أُرَى بِهَا ^(٨٤)

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

يشرب الشاعر الخمرة ويصف ما تفعله به من لذة ومن دواء، فالكأس الأولى شربها الشاعر على لذة والأخرى تداوى منها بها، وهنا يصور الشاعر اللحظات الممتعة التي يعيشها أثناء شربه للخمر وانتشائه بها، وهذا الإحساس والانتشاء بالخمر هو إحساس باطني يعكس رغبة الشاعر في التغلب على مكاره الحياة ((كما كشف هذا الإحساس عن تماذٍ في العب من ينابيع المتعة كإصرار واضح على مقاومة ما يعتريه من شعور داخلي كوسيلة فنية تمكنه من تجاوز حالته النفسية الراهنة إلى أفق أكثر تفاؤلاً))^(٨٥). هكذا يصور الشاعر الأعشى مقدرة الخمرة على التداوي والشفاء.

أما الشاعر قيس بن الملوح المتوفى (٦٨ هـ) فيجعل من حبيبته (ليلي) دواء شأنه شأن الخمر وما تفعله من ارتياح في نفس الإنسان في قوله : (من الطويل)

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بَلِيلَى عَنِ الْهَوَى	كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
أَلَا زَعَمْتَ لَيْلَى بَأْنَ لَا أُجِبُّهَا	بَلَى وَاللَّيَالِي الْعَشْرِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
بَلَى وَالَّذِي لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ غَيْرُهُ	بِقُدْرَتِهِ تَجْرِي السَّفَائِنُ فِي الْبَحْرِ
بَلَى وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ	وَعَظَّمَ أَيَّامَ الدَّيْبِ حَةَ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا	عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ^(٨٦)

بعد أن نال الفراق من الشاعر نجده يجد في ليلي الحبيبة الدواء الفعال لحالة الهيام التي يشعر بها، وهنا يشبه الشاعر حالة التداوي بليلى بشرب الخمر، فهي تشبه تماماً تداوي شارب الخمر بالخمر، فهي دواء للمهموم ومن اشتد عليه الزمن، ولكن لماذا يصف الشعراء الخمرة بالدواء؟ هل إن لها تأثيراً على قلوبهم المرضى التي باتت بحاجة ماسة إلى العلاج والتداوي؟ أم هو مجرد تقليد لا غير؟ يبدو أن الشعراء وجدوا ضالتهم في شرب الخمر ؛لذا ((وصفها الشعراء وصفاً دقيقاً بليغاً، كما وصفوا من خلالها حالاتهم ونشوتهم وما تركته في عقليتهم من أثر يمثل حياة اللهو والطرب التي يتلأأ ريعان أشعتها من لألأ مجاز رحيقها وبريق كؤوسها، وتولع العرب برحيقها ولعهم بالمرأة؛ لأنها تروي فيهم مشاعر دافئة وملونة وانفعالات غامضة إثر ديببها في مفاصلهم على غرار تلك الانفعالات التي تثيرها مشاهدة المرأة أو محادثتها أو لمسها فادمنوا عليها ادمانهم على عشق الجمال))^(٨٧) هكذا تعامل الشعراء العرب مع الخمرة ووصفوها بالدواء الشافي لأمراضهم الخاصة.

الخاتمة:

من النتائج التي توصل إليها الباحث، أن الحب من الموضوعات الرئيسة التي خاض غمارها معظم الشعراء وهو يندرج تحت غرض الغزل، ومن هنا فقد عاش معظم الشعراء تجارب عشقية حقيقية فأثرت في وجدانهم؛ لذا وصفوا هذا الحب بالداء الذي لا يمكن علاجه وبعضهم وجد في التقرب من الحبيبة وتذكرها علاجاً شافياً لفرط الصبابة التي يشعر بها، ف شعر بعضهم بحالة من الانتشاء حال تذكر الحبيبة أو مرورها بالقرب منه، أما فيما يتعلق بالشيب ذلك الضيف الثقيل، فقد نفر منه معظم الشعراء؛ وذلك لأنه ولد حالة من الإحباط والتشاؤم حال ظهوره، فذهب بعضهم إلى إطلاق مجموعة من الأسئلة الاستفهامية حول ظهور الشيب، وأما البعض الآخر فذهب يطلق الامنيات غير المرجو حصولها للعودة بالزمن إلى الماضي زمن الشباب والفتوة، وحارب بعض الشعراء المثالب التي ظهرت في المجتمع العربي ومنها البخل والجبن والغدر وافترضوا أنها من الأمراض المستعصية التي تصيب الإنسان، فهجوا أصحابها بأشد الهجاء، سعى كثير من الشعراء للشفاء من داء الحب، فالحب في نظرهم مرض وداء بحاجة إلى علاج؛ لذا جاءت أشعارهم تفصح عن تلك الآهات والحسرات التي باتت تحرق قلوبهم فوصل الحبيب والتقرب منه هي أبسط أمنياتهم وهذا يشي بحجم الحرمان النفسي الذي أحس به معظم الشعراء العشاق، وفي معرض الفخر والمدح والغزل سعى بعض الشعراء إلى توظيف المعتقدات الأسطورية التي تذهب إلى قدرة دماء الملوك والشرفاء على الاستطباب والشفاء من مختلف الأمراض وذهب بعض الشعراء أن ريق الحبيبة يشفي من مختلف الأمراض، وأخيراً عدّ بعض الشعراء الخمرة هي العلاج الشافي لمختلف الأمراض والعلل النفسية .

الهوامش:

- ١- ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م/٢٩٣.
- ٢- شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م/١١٤.
- ٣- الرحلة في القصيدة الجاهلية: وهب رومية، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، ١٩٧٥م/٤٦.
- ٤- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م/٣٦٥.
- ٥- طوق الحمامة في الألفة والألاف، أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، قدم له الأستاذ إبراهيم الإبياري، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م/١٠٢.
- ٦- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي د. باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث، عمان -الأردن، ط٢، ١٤٢٩هـ- ١٣٨/٢٠٠٨.
- ٧- ديوان معن بن أوس المزني، صنعة: د. نوري حمودي القيس وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ- بغداد، ١٩٧٧م/٣٦-٣٧.
- ٨- المراثة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان إسماعيل، مطبعة الزهراء، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٤م/٢.
- ٩- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي /٨٢.
- ١٠- شعر عروة بن حزام، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي و احمد مطلوب، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٤، ١٩٦١م/١٢-١٣.
- ١١- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥١م، ج٢/٤٤٨.
- ١٢- شعر عروة بن حزام/٢٨-٢٩.
- ١٣- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية دراسات نقدية ومقارنة حول ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٠م/١٨.
- ١٤- ديوان قيس بن ذريح، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت -لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ- ١٠٢/٢٠٠٤.
- ١٥- الاعترا ب في الشعر الأموي: د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مدبولي -القاهرة، ط١، ١٩٩٧م/١٢٨.
- ١٦- ديوان قيس بن ذريح/٦٩-٧٠.
- ١٧- الاعترا ب في الشعر الأموي/١٦٦.
- ١٨- ديوان قيس بن الملوح، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩م/٥٧.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

- ١٩- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها) د. علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط٢، ١٩٨١م/١٠٧.
- ٢٠- ديوان الأخطل، شرح: محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٤م/٢٣٢.
- ٢١- طوق الحمامة في الألفة والألاف/٨٨.
- ٢٢- ديوان الراعي النميري، جمع وتحقيق: راينهرت فايفيرت، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م/٢٨٩.
- ٢٣- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها) /٢٣٠-٢٣١.
- ٢٤- شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م/٢٥٤.
- ٢٥- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي /١٨١.
- ٢٦- ديوان كثير عزة، جمع وشرح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٣٩١هـ-١٩٧١م/١٢٩.
- ٢٧- طوق الحمامة في الألفة والألاف/٤٢.
- ٢٨- شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٩م/٩٩-١٠٠.
- ٢٩- طوق الحمامة في الألفة والألاف /١٧.
- ٣٠- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية) د. احمد علي الفلاحي، دار غيداء، ط١، ٢٠١٣م/٩١.
- ٣١- ديوان نابغة بني شيبان: دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٣٢م/٢.
- ٣٢- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية) /١١٧.
- ٣٣- ديوان ابن الدمينه، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة/١٨٥-١٨٦.
- ٣٤- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي/٦٩.
- ٣٥- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية دراسات نقدية ومقارنة حول ليلي والمجنون في الأدبين العربي والفارسي: ٢٢.
- ٣٦- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية) /١٣٣.
- ٣٧- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: د. عبد المنعم احمد صالح، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م/٧٨.
- ٣٨- ينظر: ديوان المعاني للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ج ١/١٧١.
- ٣٩- ديوان العباس بن مرداس السليمي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١م/١٥٥.
- ٤٠- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: سامي مكي العاني نادر النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٦م/١٧١.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

- ٤١- الهجاء: د. محمد سامي الدهان، دار المعارف، مصر، ط٣/٧٠.
- ٤٢- ديوان ليلى الاخيلية، تحقيق وشرح: د. واضح الصمد، دار صادر - بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م/٦٨.
- ٤٣- أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين صاحب بن عباد وابن العميد) لأبي حيان التوحيدي ت (٤٤٠هـ) ، دار صادر - بيروت، ١٣١٢هـ-١٩٩٢م/ ٩٠.
- ٤٤- ديوان الهذليين: احمد الزين، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، ج١/١٩١.
- ٤٥- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي/١٤٧-١٤٨.
- ٤٦- ديوان الأخطل/٧٧-٧٨.
- ٤٧- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي/١٤٧.
- ٤٨- الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي :حسني عبد الجليل، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م/ ١٠٠.
- ٤٩- شعر القحيف العقيلي: د.حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج٣، مج ٣٧، ١٩٨٦/٢٤٧.
- ٥٠- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)/١٤١.
- ٥١- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي /١٤٨.
- ٥٢- ديوان عنتره/٢١.
- ٥٣- ذم الهوى : ٢٩٦.
- ٥٤- الامالي، تأليف، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ج٢ / ٨٧.
- ٥٥- الامالي، ج٢ / ٨٦-٨٧.
- ٥٦- الحب بين تراثين: ناجية مراني، مطبعة أشبيلية، بغداد ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م/٩٤.
- ٥٧- ديوان سحيم، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م/٢٣.
- ٥٨- الليل في الشعر العربي قبل الاسلام، رعد عبد النبي شنين المراشدي، رسالة ماجستير ، أجازتها كلية التربية - جامعة بغداد - ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م/١٧.
- ٥٩- ديوان عمر بن ابي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د.فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م/٣٧٦-٣٧٧.
- ٦٠- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية)/١٠٦.
- ٦١- ديوان قيس بن الملوح/١١٣.
- ٦٢- م.ن/٥٥.
- ٦٣- العشاق الثلاثة، زكي مبارك، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، لبنان ١٩٧١م/ ١٤.
- ٦٤- ديوان جميل بثينة، تحقيق: بطرس البستاني، دار بيروت، بيروت ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م/٤٨.
- ٦٥- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور ، دار النجاح للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٣م/٩٨.
- ٦٦- المفضليات، تحقيق :احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر ، ط٦/٩٢-٩٣.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

- ٦٧- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط ٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، ج ٦/ ٢٢٥.
- ٦٨- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب ،بيروت ، ١٩٤٧م، ج ٣/ ٨٩.
- ٦٩- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٥م، ج ٢/ ٧.
- ٧٠- ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م/ ٣٠٩.
- ٧١- عيون الأخبار: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ -)، دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م، ج ٢/ ٧٩.
- ٧٢- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: د. عبد القادر فيدوح، دار صفاء، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م / ٤٠٠.
- ٧٣- شرح ديوان امية بن ابي الصلت، قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتبو أحمد عصام الكاتب ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان/ ١٩.
- ٧٤- نقد الشعر في المنظور النفسي: د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط ١، ١٩٨٩م / ١٤٣.
- ٧٥- علم النفس التحليلي: كارل يونج، ترجمة: نهاد خياطة، دار الحوار ، ط ١، ١٩٨٥م / ٢٠٤.
- ٧٦- ديوان جرّان العود النميري: در الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠ ط ١هـ - ١٩٣١م / ٣٧- ٣٨.
- ٧٧- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي/ ٣٩٨.
- ٧٨- شرح ديوان الفرزدق: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٣م، ج ٢/ ١٢٣- ١٢٤.
- ٧٩- نقد الشعر في المنظور النفسي/ ٢٤٨.
- ٨٠- م. ن/ ٢٤٦.
- ٨١- شرح ديوان الفرزدق، ج ٢/ ٣١٧.
- ٨٢- شرح ديوان عنتره/ ٤١- ٤٢.
- ٨٣- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي/ ١١١.
- ٨٤- ديوان الأعشى الكبير/ ١٧٣.
- ٨٥- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي/ ١٠٩.
- ٨٦- ديوان قيس بن الملوح/ ٧٠.
- ٨٧- الخمرة وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشرب في المجتمع العربي الاسلامي: د. سليمان حريثاني ، دار الحصاد للنشر ، دمشق، ط ١، ١٩٩٦/ ٦- ٧.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

المصادر والمراجع:

- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي: د. عبد القادر فيدوح، دار صفاء، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أخلاق الوزيرين (مثالب الوزيرين) صاحب بن عباد وابن العميد (لأبي حيان التوحيدي ت (٤٠٠هـ)، دار صادر - بيروت، ١٣١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الاغتراب في الشعر الأموي: د. فاطمة محمد حميد السويدي، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
- الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري (دراسة اجتماعية نفسية): د. احمد علي الفلاح، دار غيداء، ط ١، ٢٠١٣م.
- الامالي، تأليف، أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي: حسني عبد الجليل، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م.
- الحب بين تراثين: ناحية مراني، مطبعة أشبيلية، بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية دراسات نقدية ومقارنة حول ليلي والمجنون في الأدبين العربي والفارسي: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٥م.
- الخمرة وظاهرة انتشار الحانات ومجالس الشرب في المجتمع العربي الاسلامي: د. سليمان حريتان، دار الحصاد للنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٦.
- ديوان ابن الدمينه، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة.
- ديوان الأخطل، شرح: محمد مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٩٤م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م / ٣٦٥.
- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: د. عبد المنعم احمد صالح، دار الجبل بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ديوان الراعي النميري، جمع وتحقيق: راينهت فايفيرت، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ديوان العباس بن مرداس السليمي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩١م.
- ديوان المثلث الضبعي، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م.
- ديوان المعاني للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، شرحه وضبط نصه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.
- ديوان الهذليين: احمد الزين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

- ديوان جران العود النميري: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠ ط١، هـ-١٩٣١ م.
- ديوان جميل بثينة، تحقيق: بطرس البستاني، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م/٤٨.
- ديوان سحيم، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩ هـ-١٩٥٠ م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م.
- ديوان قيس بن الملوح، دراسة وتعليق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩ م.
- ديوان قيس بن ذريح، شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.
- ديوان كثير عزة، جمع وشرح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ١٣٩١ هـ-١٩٧١ م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: سامي مكي العاني نادر النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٦ م.
- ديوان ليلي الاخيلية، تحقيق وشرح: د. واضح الصمد، دار صادر-بيروت، ط٢، ٢٠٠٣ م.
- ديوان معن بن أوس المزني، صنعة: د. نوري حمودي القيس وحاتم صالح الضامن، مطبعة دار الجاحظ-بغداد، ١٩٧٧ م.
- ديوان نابغة بني شيبان: دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٣٢ م.
- ذم الهوى، ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٨١ هـ-١٩٦٢ م.
- الرحلة في القصيدة الجاهلية: زهير رومية، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، ١٩٧٥ م.
- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي: د. باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط٢، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.
- شرح ديوان الفرزدق: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٣ م.
- شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتبو أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
- شرح ديوان عنتر، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م.
- شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١١ هـ-١٩٩٠ م.
- شعر الحارث بن خالد المخزومي، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٩ م.
- شعر القحيف العقيلي: د. حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ٣، مج ٣٧، ١٩٨٦ م.

الداء والدواء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي

- شعر عروة بن حزام، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٤، ١٩٦١م.
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها) // د. علي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط ٢، ١٩٨١م.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف، أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، قدم له الأستاذ إبراهيم الإبياري، مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .
- العشاق الثلاثة، زكي مبارك، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان ١٩٧١م/ ١٤.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط ٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- علم النفس التحليلي: كارل يونج، ترجمة: نهاد خياطة، دار الحوار، ط ١، ١٩٨٥م.
- عيون الأخبار: ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ -)، دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م.
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ١٩٥١م.
- قراءة جديدة لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار النجاح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
- الليل في الشعر العربي قبل الاسلام، رغد عبد النبي شنين المراشدي، رسالة ماجستير، أجازتها كلية التربية - جامعة بغداد - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- المراثاة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان إسماعيل، مطبعة الزهراء، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: الشيخ عبد الرحيم بن احمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.
- المفضليات، تحقيق: احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر .
- نقد الشعر في المنظور النفسي: د. ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط ١، ١٩٨٩م .
- الهجاء: د. محمد سامي الدهان، دار المعارف، مصر .